مجلة البيان – العدد 71 ، رجب 1414هـ / ديسمبر 1993م

كلمة صغيرة

أقوال وأفعال

كانت - على العموم - كلـمـة مـنـصفة تلك التي ألقاها (الأمير تشارلز) في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة (اكسفورد) مؤخراً حينما أشاد بدور الإسلام في نهضة الحضارة الغربية، وكذلك دعوته للاستفادة من الإسلام فـي عـدالتـه وتسامحه وشموله وكان الأمير موضوعياً حينما طـالـب بإعــادة الـنـظـر فـي القـوالب الثقافية المجحفة التي توارثها الغربيون عن الإسلام, والتي أرجعها إلى عقد تاريخية وإلى سوء فهم ..
ومع تحفظنا على (الإسلام) الذي يفهمه الأمـيـر إلا أنــنـــا نتمنى أن تعي مثل هذا الفهم (الحكومة البريطانية) , وعلى رأسها (ميجر وأوين) المعروفان بمواقفهما العجيبة والغريبة في (البوسنة والهرسك) والتي وصفـتها (تاتشر) بأنها كارثة .
ثم حتى متى لا يكون للإسلام في بريطانيا حقه باعتباره ديناً سمـاوياً ؛ إذ ما يزال القانون الإنجليزي يقرر أن حق الدفاع ضد (التجديف) لا يشمل الإسلام، ويتعرض المسلمون أحياناً لحوادث تفرقة عنصرية كما دل عليه تقرير مجلس مدينة مانـشـسـتـر عن أحداث مدرسة (إيرنتج الثانوية عام 1991) بل وصل التمييز إلى المسلمين الإنجليز أنفسهـم ، فقد حرمت المدارس الإسلامية من الإعانة بينما أعطيت لغيرها .
إننا نرحب بكل كلمة منصفة ونقدرها لكننا أحوج ما نكون إلى الأفعال الـمـنـصـفــة لتشمل العدالة الجميع .

الافتتاحـيـة

العالم العربي بين ناري القومية والقطرية

الحمد لله والصلاة والسلام على رســـول الله وعـلـى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:
فـمـنـذ أشرقت شمس الإسلام على بطاح مكة المكرمة مؤذنة بظهور هذا الدين الـجـديـــد، وصاحــب الـرسالة -صلى الله عليه وسلم-يعلنها مدوية في سمع الزمان مبيناً عالمية رسالة الإسلام حيث يقول: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي »وعَدّ منها (وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس كافة) »وأكد ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ((وما أرسلناك إلا كافة

للناس بشيراً ونذيراً))، وقوله: ((وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين))، ودخل الناس في دين الله أفواجـاً وقامت دولة الإسلام بالمدينة وصدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم باتساع دولة الإسـلام حينما جاءه بعض الصحابة يشكون له أذى قريش فبين لهم أن الله سيتم هذا الأمر ،"حـتـى يسـير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله" ، وفي رواية: "والذئب على غنمه" رواه البخاري.

فلم يكن للمسلم منذ صدر الإســلام وعـصـوره الـمتتالية جنسية سوى عقيدة التوحيد ، لا يعرف جواز سفر ، ولا بطاقة تعريف ، سوى أنـه مسلم يدين بالإسلام حتى انتهى العالم الإسـلامي في عصوره المتأخرة إلى الوقوع في أتون النـعــرات القومية ، التي كانت بضاعة مسـتوردة ، أدت إلى نشوء النزعات الجاهلية التي جــاء الإسلام لوأدها وهدمها ، لكنها عـادت يوم ضعف الدين في النفوس ، ولم يعد له الحاكـمـيــة على الناس ، منذ أن دعا القوميون العرب لنعرتهم القومية خلال العشرينات ، التي كــانت ردة فـعـــل للـقـومـيـة الطورانية التركية، ممــا أدى إلـى سـقـــوط جل الدول العربية تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي.. وحينما قام المجاهدون يدافعون عن حمى الإسلام ضد التسلط الأجنبي سُرقت ثمرات الجهاد فتحول في أواخره من جهاد فــي سبيل الله إلى حركات وطنية استقلالية بمنطلقات علمانية وقومية جاهلية ، أطالت من عمر الاحتلال يوم اصطنع المحتلون نفراً من أولئك القوم مكنوا لهم ، فكانوا في عدائهم للإسلام ودعاته أعظم من الأجنبي يوم كان محتلاً لديار الإسلام.

ومن العجيب أن يكون أكثر دعاة القومية العربية من النصارى ومن العجم ويا ليتهم اعتزوا بأخلاق العروبة وآدابها التي هي أقرب ما تكون إلى الإسـلام بل إن الإسلام أقر الصالح منها مثل: الكرم ، والوفاء ، بالعهد ، والحفاظ على الجوار وحماية العرض، وكان مِنْ عرب الجاهلية مَنْ لا يقر الظلم والبغي؛ لذا قــام نفر من أعيانهم بحلف الفضول، ذلك الحلف الذي قال عـنـه الرسـول صلى الله عليه وسـلــم: لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت»، لكنهم داسوا تلك الخلال ولم يحترموها فضلاً عن أن يطبقوها بوحي مـــن إيمانهم بشريعة الإسلام، فجاؤوا بدساتير أجنبية مستوردة، لا تقيم لشريعة الإسلام أي احـتـرام، بعد أن نَحّاها المستعمر، فلم يبق منها سوى أطلال تتمثل في بعض قوانين الأحوال الشخصية؛ وحينما انتقدت تلك النزعة العلمانية قال بعضهم خداعاً أو جهلاً : (الإسلام تـــراث من تراث القومية العربية ومحمد -صلى الله عليه وسلم-بطل من أبطالها)،لقد كان التوجه القومي في البلاد العربية مظهر انحطاط وانهزامية لأمتنا ، إذ كانت ثماره المرة ما يلي:

1- خسران الحروب التي دخلها العرب في تلك الحقبة.

2- تنحيـة شريعة الإسلام عن الحكم.

3- اضطهاد الحركات الإسلامية ورموزها ما بين قتل وسجن وتشريد.
4- لم تسلم دولة عربية مجاورة لأخرى من حروب ونزاعات على الحدود.
5- تشجيع النزعات العنصرية في جل الدول العربية من الفرعونية والآشورية والبربرية، ونشوء أحزاب علمانية تدعو لتلك التوجهات الشعوبية المشبوهة.
6- الانهيار الاقتصادي لاسيما الأخذ بالتوجهات الاشتراكية وما ســـواها من الاتجاهات الليبرالية التي لم تذق منها الشعوب العربية سوى الجوع والمسغبة.
7- هـــــرب كثير من العلماء التقنيين خارج العالم العربي لعدم احتوائهم من ناحية، أو مخالفتهم لتوجهات أولئك الحكام من ناحية أخرى.
هذه بعض من نتائج ومعطيات الحقبة القومية، التي بليت بها أمتنا ومازالت.
لقد كانت القـطــرية موجودة في كثير من الدول العربية قبل حرب الخليج وبعدها بكل ما أنتجته من تغيرات استراتيجية وميدانية أخذت وبشكل واضح اتجاهات انكفائية تتلبّس لبوس الوطنية وتنظر من خلالها إلى ذاتها وأمنها نـظرة خاصة وتجعل من مصلحة النـظام الحاكم المحور المعوّل عليه في بناء سياستها وتوجهاتها، لا تنظر معها إلا لمصالحها فقط، حتى ولو كانت مع العدو نفسه.
إن تلك النزعة الانكـفــائـيـة، مظهر تخلف ولا شك لأنها لا تتنافى والطموحات القومية المزعومة فحسب، بل إنها قبل ذلك تتصادم مع حقائق الإسلام وأخلاقياته، زيادة على ما تشكله من طعن مباشر في (عقيدة الولاء والبراء).
إن حب الأوطان فطرة تعيش فـي حـنايـا النفوس وتعمر بها شغاف القلوب فأوطاننا هي الأرض التي بها ولدنا وعلى أرضها درجنا ونعمنا بخيراتها وتعلمنا في مدراسها وتظللنا بوارف ظلالها.
كان بلال رضي الله عنه يهتف شوقاً لمكة المكرمة بأبيات تسيل رقة منها:
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامةٌ وطفيل(3)
إن تلك العاطفة فطرية في النفوس، لـكــــن يجب أن تكون في إطارها لا أن تصل إلى حد التقديس لتراب الوطن الضيق بعيداً عن الإحساس بواجب الإخاء الإسلامي العام، وبعيداً عن الشعور بواجب النصرة لإخواننا الـمسلمين، وبعيداً عن تحقيق متطلبات عقيدة الولاء والبراء.
إن أمتنا العربية نكبت مع الأسف منذ نُحّيَتْ (شريعة الله) واستعاضت عنها بالتوجهات القومية، يوم حكمت الدساتير العلمانية وسارت على نهجها فلم تكن ثمارها سوى الهزائم والسقوط، ولن يكون حال التوجهات القـطـــرية الحالية بأحسن حالاً، فحسبها أن تثير الحزازات بين الشعوب العربية حينما يكــــون كـــل شعب مشغولاً بنفسه عن إخوانه في العقيدة والدين، فإلى متى تبقى أمتنا تذوق مرارة الحـــرمــان والانهزامية مع كل توجه علماني؟ لقد جربت الأمة شتى التوجهات الجاهلية من اشتراكية وقومية وليبرالية ولم تكن نتائج ذلك سوى حصاد الهشيم وقبض الريح.

إننا لا ندعو إلى تجريب الإسلام، بل إلى فهمه فهماً صـحـيـحـــاً من مصادره الصحيحة والعودة له شريعةً حاكمة، ثم الاعتماد على النفس وأخذ السبل الموصلة للقوة القائمة على حشد كل الإمكانيات البشرية، وتقــوية الاتجاهات العسكرية، والـعـنـاية بالبحث العلمي بإنشاء مراكز البحوث، والاســتفـادة من القدرات الهائلة من العلماء الـمسلمين الموزعين في شتى أنحاء العالم، وضـرورة التكامل الاقـتـصـادي، وزيادة التعاون بين الأقطار الإسلامية، وإعادة النظر في السياسة التعليمية القائمة ليس لـصـالـح سـياسة التطـبـيـع وإنمــا لتخريج الأجيال القادرة على المواجهة ثقافياً وعسكرياً، والمطالبة بأن يكـــون لـنـــا مـكـانٌ أكبر في المنظومة الدولية... ولن يتأتى ذلك بدون الانتماء لعقيدتنا الإسلامـيـة الصحيحة قولاً وفعلاً والصلح مع إخواننا قبل الصلح مع أعدائنا.

إن الـعــودة إلى الإسلام الحق ستحمينا من أخطارالاتجاهات المنحرفة وسلبياتها سواء أكان ذلك قومياً أو قطرياً.

في إشراقة آية..

((إن خير من استأجرت القوي الأمين))

د. عبدالكريم بكّار

قصّ الله جل وعلا علينا خبر موســى مع شعيب عليهما السلام حين جاء مدين ، ووجد ابنتين لشعيب قد منعتا غنمهما من الورود بانتظار ذهاب الرعاء وفراغ المكان ، وما حدث من تطوع موسى بالسقيا لهما ، وما كــان من أمر شعيب حين بلغه ما قام به موسى حيث أرسل له يطلبه ليجزيه على ذلك وذكر لنا القرآن الكريم كذلك نصيحة ابنة شعيب لأبيها باستئجاره ، وعللت ذلك بقوة موسى وأمــانـتــه ، ويذكر المفسرون أن شعيباً عليه السلام أثارت حفيظته الغيرة من كلامها ، فقال: وما علمك بقوته وأمانته؟ فذكرت له أن موسى حمل حجراً من فوق فوهة البئر، لا يحمله في العادة إلا النفر من الناس وتلك قوته، وأنه حين ذهبت تكلمه أطرق رأسه ، ولم ينظر إليها، كما أنه أمر المرأة أن تمشي وراءه، حتى لا تصيب الريح ثيابها فتصف ما لا تحل له رؤيته وتلك أمانته.

وقد صدق حدسها فهي ما رأت إلا نبياً من أولـي الـعــزم المؤتمنين على الوحي ، الأشداء الأقوياء! وقد قيل: إن أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب وصاحب يوسف حين قال (عسى أن ينفعنا) »(1) ، وأبو بكر حين اختار عمر لإمارة المؤمنين.(2)

وقد جمعت ابنة شعيب عليه السلام في تعليلها المختصر ذاك بين أمرين عظيمين، ينضوي تحتهما معظم الكمالات الإنسانية، وهما الأمانة والقوة، وهذه وقفات سريعة معهما:

1- ليست الأمانة هنا إلا رمزاً لما يستلزمه الإيمان بالله تـعـالـى مــن المحامد كالإخلاص والأمانة والصدق والصبر والمروءة، وأداء الفرائض والكف عن المحــرمات؛ وقد قال أكثر المفسرين في قوله سبحانه:((إنا عرضنا الأمانة))(3) الآية: إن المراد بها التكاليف الشرعية عامة (4) ، وقد وصفت ابنة شعيب موسى بالأمانة لغضه طرفه ، ومشيه أمامها.
أما القوة فهي رمز لمجموع الإمكانات المادية والمعنوية التي يتمتع بها الإنسان.
2- الأمانة والقوة ليستا شيئين متوازيين دائماً ، فقد يتحدان ، وقد يتقاطعان فالصبر جزء من الأمانة ؛ لأنه قيمة من القيم ، وهو في ذات الوقت قوة نفسية إراديـة ، وإذا كان العلم من جنس القوة، فإنـه يولد نوعاً مــــن الأمانة؛ إذ أهله أولى الناس بخشـيــة الله، ((إنما يخشى اللهّ من عباده العلماء))(5) والإيمــان أجل القيم الإسلامية، فهو من جنس الأمانة، ومع ذلك فإنه يولد لدى الفرد طاقة روحـيـــــة هائلة تجعله يصمد أمــــام الشدائد صمود الجبال، ومن ثم كانت الظاهرة الإسلامية العالمـيـــــة: ظاهرة "المسلم لا ينتحر »!". إن هذا التلاقي بين الأمانة والقوة يمثل بعض الأرضية المشتركـــة لتلاقي أهل الأمانة وأهل القوة، كما يجعل التحقق من إحداهما المعبر للتحقق من الأخرى.
3- سوف يظل النمط الذي يجمع بين القوة والأمانة نادراً في بني الإنسان وكلما اقتربا من الكمال في شخص صار وجوده أكثر ندرة ، والقوي الذي لا يؤتمن ، والموثوق العاجز هم أكثر الناس ، والذين فيهم شيء من القوة وشيء من الأمانة كثيرون ، وقد روي عن عمر رضي الله عنه:»أشكو إلى الله جَلَد الفاجر وعجز الثقة، فكل منهما لا يمثل المسلم المطلوب، ودخــــل عمر أيضاً على لفيف من الصحابة في مجلس لهم فوجدهم يتـمـنــــون ضروباً من الخير، فـقـال: أما أنا فأتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت من أمثال سعيد بـــن عـــامــــر الجمحي ، فأستعين بهم على أمور المسلمين!.
4- العمل الـمـقـبول في المعايير الإسلامية هو ما توفر فيه الإخلاص والصواب والإخلاص ضرب من الأمانة ، والصواب وهو هنا موافقة الشريعة ضرب من القوة، هذا بصورة عامة، لكن في أحيان كثيرة يكون ما يطلب من أحدهما أكثر مما يطلب من الآخر؛ فالثواب يتعلق بالإخلاص أكثر مــــن تعلقه بالصواب، فالمجتهد المؤهل ينال أجراً إذا استفرغ وسعه وإن كان اجتهاده خاطئاً، لكن لا ثواب البتة على عمل لا يراد به وجه الله تعالى، أما النجاح والوصول إلى الأهداف المرسومة في الدنيا فإنه مرتبط بالصواب أكثر من ارتباطه بالإخلاص ، فكم من مؤسسة يديرها أكفاء ليس عندهم شيء من الأمانة ، ثم حققت أهدافها المادية كاملة وكم من مؤسسة أدارها أخيار غير مؤهلين ، فأعلنت إفلاسها!
وقد ذكر ابن خلـــدون أن للناس مذهبين في استخدام الأكفاء غير الثقات وتقديمهم على الثقات غير الأكفاء ، واختار هو استخدام غير الثقات إذا كانوا

مؤهلين ؛ لأن بالإمكان وضع بعض التدابيــر التي تحد من سرقاتهم أما إذا كان المستخدم لا يحسن شيئاً فماذا نعمل به؟!(6)
وقد ولى النبي -صلى الله عليه وسلم-أهل الكفاية الحربية مع أن في الصحابة من هم أتقى منهم وأورع؛ لأن القوة (البسالة وحسن التخطيط) تطلب في قيادة الجيش أكثر من الأمانة، مع أنهم كانوا بكل المقاييس من الأمناء الأخيار وطلب بعض الصحابة ممن عرفوا بالزهادة والورع الولاية على بعض أمور المسلمين فحجبها عنهم لضعفهم.
5- نحن فـي مـراجـعـة أخطائنا نركز على جانب الأمانة ، ونهمل جانب القوة فإذا ما أخفقنا في عمل ما قلنا نحن بحاجة إلى تقوى وإخلاص ، وإن اتباع الأهواء هو السبب في ذلك ، ولا ريب أن الإخلاص مفتاح القبول والتوفيق وأن التقوى تستنزل الفرج ، لكن ما هي المعايير التي تمكننا مـــن قياس درجة التقوى ومقدار الإخلاص الموجود إذا ما أردنا التحقق منه وكيف نستطيع التفريق بين عمل دفع إليه الهوى وآخر دفع إليه الاجتهاد؟! كل ذلك مما يستحيل قياسة، وبالتالي فإنه لا يمكن تحـديده وما لا يمكن تحديده لا يصلح لأن يكون هدفاً.
وبإمكان الناس أن يقولوا: إلـى مـا شاء الله نحن أتباع هوى دون أن تستطيع أن ترد على أحد منهم رداً شافياً قاطعاً ! على حـيـن أن قياس القوة ممكن ، وإدراك الخلل فيها يكون عـادة ظاهراً يمكن وضع الإصبع عليه فحين يأتي خطيب ليتولى إدارة جيش، أو التخطيط لمعركة ، وحين يتولى رسم سياسات العمل رجلٌ لا يعرف الواقع ، فلا يقرأ جـريــدة ولا يستمع إلى نشرة أخبار ، ولا يحسن قراءة أي شيء يحيط به ، فإن الخلل لا يحتــاج إذ ذاك إلى شرح حيث تتولى شرحه النتائج!. وحين يتصدى للاجتهاد في أمور خطـيـــــرة أشخاص لا يملكون الحد الأدنى من المعلومات حولها ، وتترتب على اجتهاداتهم فواجع أكبر من أي جريمة ماذا تكون الحال؟!
لقد آن الأوان لوضع الأمور في نصابها، بتأهيل الشخص قبل إيجاد العمل الذي سيعمله، بدلاً أن يوجد المنصب ثم يبحث عمن يسد الفراغ ليس أكثر!
6- عالمنا الإسلامي النموذج المثالي للقوى الكامنة ، فكل ما عندنا (خام) الإنسان والطبيعة والـمــوارد ، ولعل لله في ذلك حكمة بالغة ؛ إذ أن تشكيل الإنسان المسلم لو تم قبل بزوغ الصحوة المباركة لكان أكثر ضرراً من بقائه على حاله.
هذه القـــوى الكامنة ستظل ثغرات في حياتنا أياً كان موقعها في ظل التكالب العالمي على الصعيد الثقافي والاقـتـصــادي، وهذه القوى الكامنة تحتاج إلى تفجير وإلى إخراج في شكل جديد يمنحها وزنها الحقيـقـي وإخراج القوة مهمة الدولة أولاً ؛ فهي المسؤولة عن تفجير الطاقات كافة وتوجيهها ، ومهمة صفوة الصفوة من صانعي المبادرات الخيّرة ، الذين يمتد بصرهم دائماً إلـى مـسـتــوى أعـلـى من المستوى الذي تعيش فيه أمتهم فيوجدون

باستمرار الأفكار والأطر والأجواء والآليـــات الـتــي تُفَعّــــل القوى الخامدة المجهولة للناس حتى حامليها.
واليهود هم من أساتذة العالم في (إخـــــــراج القوة) وتوظيفها واستغلالها وصحيح أن ديننا يحول بيننا وبين وسائل كثيرة استخدموهــا حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، لكنني أعتقد أنه مازال في هذا العالم مكان فسيح للمسلم المبصر الأريب..
وقد بدأت الأمة في امتلاك الـقــوة، وبـدأ الـمـــارد الذي نام قروناً يصـحـو وهو الآن يتفقد أعضاءه وحواسه ، ويحاول أن يتعلم المشي في (حارة) الكرة الأرضية ، لكن بعضاً منا بدؤوا يخبطون يمنة ويسرة قبل أن يفـتـحوا عيونهم وقبل أن يعقلوا الأجواء التي يصحون فيها ؛ ليغروا العدو بتوجيه الرصاصة القاتلة قبل أن يقفوا على أقدامهم!.
إن فهم الحياة المعاصرة شرط أساسي يجب توفيره عند كل أولئك الذين يريدون توجيهها والتأثير فيها ، ولن يكون ذلك ممكناً ما لم نكن نحن من صانعي قراراتها وخياراتها..
7- الأمانة قيد على القوة ، فهي التي تحدد مجالات استخدامها وكيفياته والقوة الآن في يد الآخرين على ما نعرف، والقيود الأخلاقية عندهم آخذة في الضعف يومــاً بـعــد يـوم؛ لأنها لا تعتمد على إطار مرجعي أعلى يمنحها الثبات ومن ثم فإن القـوة ليست في طريقها إلى الانطلاق من أي ضابط أو حسيب، لكنها في طريقها إلى صنع قـيـودها بنفسها الصناعة التي تمكنها من مزيد من الانطلاق، وهي بذلك تجعل الآخرين يتوهمون أنها قيود؛ حتى لا يشعر أحد أن هناك فراغاً أخلاقياً يجب ملؤه! وما النظام العالمي الجديد سوى الأحرف الأولى في أبجديات القيود الجديدة!.
وهذا يوجب علينا المزيد من التفكير والتأمل فيما يجب عمله، ونحن مع ضعفنا قادرون في هذا المضمار على عمل الكثير الكثير إذا فهمنا لـغـــة العصر، وأحسنا إدارة الصراع؛ إننا نملك القيود (الأمانة)، وهم يملكون القوة، فهل نـسـعــى إلـى امـتــلاك القوة المقيدة حتى يصطلي العالم بالنار دون أن يحترق؟؟

الهوامش :

(1)سورة يوسف:21.
(2)الكشاف 3: 163.
(3)الأحزاب:72.
(4)انظر البحر المحيط 7: 253.
(5)سورة فاطر: 28.
(6)انظر مقدمة ابن خلدون 2: 279.

من قضـايا المنهج

التجـرد في الحـوار

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

تـمـهـيـد:

الحوار: من المصطلحات التي تتردد كـثـيـراً فـي هـــذا الوقت، وترددها أطراف متعددة، والمرددون لهذا المصطلح قد اختلفت مشاربهم، وتباينت أفـكـارهم وتنوعت أهدافهم، فأراد منه بعضهم أعظم الحق، وأراد منه آخرون أعظم الباطل، والأصل في ذلك هو منهج الرجل وطريقـته وسيرته العلمية والعملية.

والمحاورة أو المجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق والهدف منها الوصول إلى الحقيقة، وهي في إطار الحركة الإسلامية أداة الـتصحـيـح والـبـنــاء والتقويم الذاتي، فالحوار أداة وعي مشتركة تتحدد فيها الآراء وتُستعرضُ فيها المسائل ويستخلص منها ما دل عليه الدليل الشرعي أو النظري وهو وسيلة من وسائل الشورى والـتـنـاصـح والـتـعـاون عـلـــى البر والتقوى، وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال، ولن يتم تصحيح الأخطاء وتدارك الـنـقـص وتقويم المسيرة الشرعية والدعوية إلا إذا اتسعت صدورنا معشر الدعاة إلى الحق للحوار، وروضنا أنفسنا على قبول النقد والمراجعة وعندها تكون حواراتنا حوارات تربوية مـنـهـجـيــــة، تثري الساحة الإسلامية بالدراسات الشرعية والطروحات العلمية.

وقد أصبحت الصحوة الإسلامية بعثاً عاماً يشمل معظـم طبقات الأمة.. فلم تعد حكراً على أحد، ومن حق الأجيال على الحركة الإسلامية أن تقدر عقولها وتوقر قدراتها، وتوضح لها حقيقة المسيرة الدعوية سلباً أو إيجاباً فليست القضية أن ندافع عن مواقف اتجاه من اتجاهات العمل الإسلامي أو علم من أعلامه، ثم نحاول تسويغ الأخطاء وكتمانها، وإنما القضية أعمق من ذلك وأخطر، وطلائع الصحوة الإسلامية تتطلع إلى المنهج الرباني بصفائه ونقائه بعيداً عن الكدر والشوائب، ومنهج الله أبقى وأغلى من كل أحد، وليس عيباً أن ننتقد عالماً أو نخطئ تجربة، ولكن العيب الكبير أن نخادع أنفسنا والأجيال التي وثقت بنا.

والطريف أن لدينا إقداماً عنـتـريـاً على ذكر معايب الناس، وشجاعةً على نقد الآخرين، لكننا جبناء أمام أنفسنا نضع رؤوسنا في الرمال، وننظر بأعين مغلقة، ولا نحب مواجهة الحقيقة، فنسخر لقاءاتنا للتمــادح، واستعراض الإنجازات وتفخيمها ولو كانت وهمية، وإذا تجرأ أحدنا على النقد فهـــو يتكلم باستحياء وخجل، ولهذا أصبحت قدراتنا على التصحيح والبناء هشة هـزيـلـة بل أصبح المحاور الذي يريد إظهار الحق يُعدّ عند بعضهم مشاغباً، يشغل نفسه في

تفاهات ثانوية، ويريد أن يجر غيره إليها، وبرعماً مريضاً يجب اجتثاثه من أصوله.!!
ومن ثم أصبحت الأجيال الـجـديـــدة من أبناء الصحوة الإسلامية تجتر أخطاء الآخرين، وتتوارثها بآلية ساذجة، وتتبنى أفكاراً مستعارة مستنسخة، تفكر بعقل غيرها، وتتحدث بلسان من عداها، وتعيش على منجزات الآخرين ومكتسابتهم، ولازالت بعض الاتجاهات الإسلامية تعتمد على مناهج حركية وقوالب فكرية، تأسر نفسها في دوائرها، وقد مضى عليها زمن ليس بالقصير مع أن التجربة الإسلامية تجاوزتها بمراحل.
فبغياب الحوار والمراجعة ظهر في العمل الإسلامي أكثر من هوة، وأكثر من شرخ، أضعف من صلابته وتماسكه من جهة، ومن سلامته وصفائه من جهة أخرى.
فغياب الحوار الجاد ما هو إلا انـعـكـــــاس آلي لضعف البنية العلمية والفكرية في العمل الإسلامي، وأرى أن مما يعين الأمة الإسلامية على الخروج من هذا المأزق، وإقامتها من هذه الكبوة، فتح أبواب الحوار والشورى، وتربية أبناء الصحوة الإسلامية على قول كلمة الحق، صريحة بينة ولو خالفت من خالفت لا يخشون في ذلك لومة لائم، فالمناصحة هي روح الأمة وعرقها النابض.
قال الله تعالى ((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))(1).
وأي عمل بشري جاد فضلا عن العمل الإسلامي يحتاج إلى دراسة وتخطيط، ثم إلى دقة في الإنجاز والتنفيذ، وفي أثناء هاتين المرحلتين وبعدهما يحتاج هذا العمل إلى مراجعة وتقويم يساهم فيهما كل قادر على ذلك.
إن الحوار الجاد المطلوب ما هو إلا دعوة إلى تقليب أوراق العمل الإسلامي المعاصر، وإعادة النظر بكل تجرّد في مناهج التفكير المطروحة والوسائل الدعوية المستهلكة، إنه كسر لطوق الرتابة والارتجال السائدين في أوساط العمل الإســــــلامي، وهو دعوة إلى تحرير الأمة الإسلامية من الفلسفات الكلامية، والـبـدع الخـــــرافية، والتمزق المنهجي، والتوجهات الحزبية، والشطط الفكري بشتى ألوانه وصوره، ثم إعادة بنائها وصياغتها من جديد، وفق الأسس والضوابط العلمية المبينة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم-على منهج السلف الصالح رحمهم الله.
ونحن جميعاً نتحرك في سفينة واحدة في بحر متلاطم الأمواج، وتزداد خروق هذه السفينة يوماً بعد آخر، وقد يسهم الحوار في ترقيع هذه الخـــروق وحماية هذه المسيرة المباركة من العقبات والمصاعب التي تواجهها، فالحوار تفاعل دائم بـيـــن أطراف العمل الإسلامي وعناصره المختلفة، وتدافع الأفكار والاجتهادات بالموازين العلمية سيضمن استقامة العمل على الصراط المستقيم.

التجرد في طلب الحق:

إذا كان التأصيل العلمي والمنهجي في الحوار ذا أهمية كبيرة، فـــإن الجـانـب السلوكي والتربوي له أثر كبير جداً في هذا الباب، إذ إن الممارسة الناضجة والتخلق الكريم بأخلاق القرآن العظيم، هما الترجمان الحقيقي والأثر الحي الصادق للعلم الصحيح، فـلـيـســت الـمشكلة في قضية الحوار علمية فحسب وإن كان لها أثر كبير وإنما هي تربوية ونفسية كذلك.
والتجرد في طلب الحق يُعين في الوصول إليه، والهوى داء خطير يعمي بصيرة الإنسان، فلا يرى حقاً إلا ما وافق هواه، والعلم وحده لا يكفي في ساحة الحوار، بل لابد معه من الإخلاص والتجرد، فقد يضل المرء على علم والعـياذ بالله كما قال تعالى: ((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم)).(2)
وعلى المحاور الصادق أن يقصد بمحاورته وجه الله تعالى وحده لا شريك له، فلا يرجو الغلبة والانتصار، كما لا يرجو ثناء الناس أو حمدهم، فما عندهم ينفد وما عند الله باق، قال الله تعالى:((فـمـن كــان يرجو لـقـاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)).(3)
قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في ذكر آداب الجدل والمناظرة: »ويخلص النية في جداله بأن يبتغي به وجه الله تعالى... وليكن قصده في مناظرته إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم«.(4)
فصاحب الهوى ليست له قواعدمطردة، أو موازين منضبطة، يعتمد عليها في البحث عن الحق، بل تراه يدور مع هواه حيث دار، وحينما يتصف المحاور بهذه الصفة فلا يمكن أن يصل المتحاوران إلى النتيجة المرجوة بحال.

ومن مقتضيات التجرد في طلب الحق:

أ -أن يدخل المرء ساحة الحوار باحثاً عن الحق، حتى لو كان عند خصمه، ولا يتردد أبداً في أن يتراجع عن رأيه إذا تبين له صحة رأي غيره، قال الله تعالى: ((وإنا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)).(5)
وينبغي أن يكون المحاور كما قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: »كناشد ضالة لا يُفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق«.(6)
ولـهـــذا كـــان الإمـــام الشافعي رحمه الله تعالى يقول: »ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ«(7)، وقال أيضا: »ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بَيّنَ الله الحق على لساني أو لسانه«.(8)
وقارن هذه النفس المخبتة الصادقة، التي تعلو على الأهواء ولا تتطلع إلا إلى الحق، بتلك النفوس المريضة التي تراوغ هنا وهناك حتى لا يظهر ويعلو إلا قولها، سواء أكان ذلك حقاً أو باطلاً.. قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : »فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على

لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجهد في مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره..؟(9)
وقد تؤثر على المحاور أحياناً اتجاهات فكرية ونفسية غير مرئية تعوقه عن الوصول إلى الحقيقة العلمية التي طرحها صاحبه: فبعض الناس غفر الله لنا ولهم يتقنع بقوالب فكرية معدة مسبقاً، ويدخل ساحة الحوار لا للبحث عن الحق، ولكن لتقرير الرأي، والمدافعة عنه، والتعصب له، فليس عنده الاستعداد أبداً أن يتنازل عن رأيه، حتى ولو تبين له خطؤه.
والثقة بالنفس خصلة حمـيــــدة، لكنها لا تعني الشعور بالعصمة والكمال وليس عيباً أن يعترف المرء بالخطأ، ويسلم لمناقشه، بل هذا دليل الكمال والورع والرجل المؤمن الصادق لا يقف ضعيفاً عاجزاً أمام نفسه، حينما يتبين له الخطأ ولا تصور له خيالاته المريضة، أنه قد ينقص قدره أو يضعف وزنه إن اعترف بخطئه بل يسارع جاداً إلى الأخذ بزمام الحق، ويعض عليه بنواجذه، ويعتقد جازماً: أنه برجوعه إلى الحق أنقى وأكمل، ويحتاج ذلك بلا شك إلى عقيدة إيمانية وقوة نفسية، تتلاشى أمامها حظوظ النفوس والإحساس بالكمال وتقديس الذات.
ودعونا نتأمل في حال من حولنا ؛ لنرى كيف يجر التعصب للرأي وتقديس الاجتهادات إلى تصدع الجسور الهشة التي تربط بين المتحاورين.. وكيف يؤدي ذلك إلى تآكل الأواصر الأخوية بين الدعاة، حتى لا يبقى منها إلا شعارات باهتة لا حقيقة لها..؟!
قال الفاروق عمر بن الخطاب فـي رسـالـتـه المشهورة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: »ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شـيء ومـراجعة الحق خير من التمادي في الباطل«(10).
ب -أن يذكر ماله وما عليه من الحجج والأدلة والبراهين: فامتياز المنهج الإسلامي يظهر جلياً بهذا التوازن الشامل والعدل الكامل، فلا يجوز أن يُحجــب شيء من الحقيقة، أو يدفن شيء من الأدلة التي تدعم قول المخالف فهذه صفة ذميمة تدل على حب الذات وقلة الإنصاف والورع، ونزاهة المحاور وموضوعيته محور أساس مـــن محاور المنهج العلمي، وهي التي يُعبّر عنها في الاصطلاح الحديث: بالأمانة العلمية.
وقد ذم الله سبحانه وتعالى اليهود لأنهم يتصفون بكتم الحق وتلبيسه بالباطل.
قال الله تعالى: ((يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحـــق وأنتم تعلمون)).(11)
وقـال الـله تعالى: ((ولا تلبسوا الحـق بالباطل وتكتموا الحـق وأنـتــــم تعلمون)).(12)

وأخذ بعض المبتدعة هذه الصفة الذميمة من اليهود، ولهذا قال الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى : »أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكـتـبــون إلا ما لهم«.(13)
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً منهج المبتدعة في الاستدلال: »فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويبغض من يفعل ذلك كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعـــة إلا نزعت حلاوة الإيمان من قلبه«. ويبين رحمه الله أن هذا ليس خاصاً بالمبتدعة، بل هو أيضا عند طالبي العلو والرئاسة، حيث قال: »وطالب الرئاسة ولو بالباطل ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه، وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقاً والمؤمن ترضيه كلمة الحق له وعليه، وتغضبه كلمة الباطل له وعليه ؛ لأن الله تعالى يحب الحق والصدق والعدل، ويبغض الكذب والظلم«.(14)
ويرسم شيخ الإسلام في موضع آخر المنهج العلمي الواجب اتباعه في ذلك فيقول: »وأما أهل العلم والدين فلا يصدقون بالنقل ويكذبون به بمجرد موافقة ما يعتقدون، بل قد ينقـــل الرجـــــل أحــاديــث كثيرة فيها فضائل النبي -صلى الله عليه وسلم-وأمته وأصحابه، فيردونها لعلمهم بأنها كذب، ويقبلون أحاديث كثيرة لصحتها، وإن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه: إما لاعتقادهم أنها منسوخة أو لها تفسير لا يخالفونه، ونحو ذلك«.(15)
وقال أيضا: »يجب أن يكون الخطاب في المسائل بطريق ذكر دليل كل قول، ومعارضة الآخر له، حتى يتبين الحق بطريقه لمن يريد الله هدايته«.(16)
وقال أيضا: »فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحـيـح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة من ورائه، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً..«.(17)
وقال العلامة السعدي رحمـــه الله تعالى في تفسير قوله تبارك وتعالى: ((الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون))(18) »دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا: الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما لـــه من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه وتواضعه من كبره وعقله من سفهه«.(19)

وتبين التطبيقات اللطيفة في هذا الـمبحث: أن ابن تيمية رحمه الله كان من أعظم الناس نصراً لمنهج السلف الصالح، ومن أعظمهم رداً على المبتدعة بمختلف مللهم ونحلهم، إلا أنه لتمام اتزانه وسلوكه المنهج العلـمـــي الحق، انتقد بعض تصرفات جهلة أهل السنة المخالفة لذلك المنهج المشار إليه آنفاً فها هو يقول: »وفيهم نفرة عن قول المبتدعة، بسبب تكذيبهم بالحق، ونفيهم له فيعرضون عما يثبتونه من الحق أو ينفرون منه، أو يكذبون به، كما قد يصير من بعض جهال المتسننة في إعراضه عن بعض فضائل علي وأهل البيت إذا رأى أهل البدعة يغلون فيهم، بل إن بعض المسلمين يعرض عن فضائل موسى وعيسى بسبب إعراض اليهود والنصارى عن فضائل النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى يُحكى عن قوم من الجهال أنهم ربما شتموا المسيح إذا سمعوا النصارى يشتمون نبينا في الحرب وعن بعض الجهال أنه قال:

سُبوا علياً كما سبوا عـتيقـكم كفرٌ بكفر وإيمان بإيـمــان«(20)

وهذا انحراف لا يليق بمسلم صادق الإيمان.

جـ ـ وينبني على ما تقدم: قبول الحق من كل من قاله كائناً من كان حتى من المبتدع، بله الكافر لأنه إن رد قوله فقد رد الحق، والإنصاف في المحاورة من صفات الربانيين الذين لا يرجون إلا الحق، وفي هذا الباب أمثلة عديدة، أذكر منها مثلاً واحداً فقط:

عن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حَبرٌ من الأحبار رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون، فـقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »سبحان الله وماذاك!«. قال: تقـولون إذا حلفـتم والكـعـبة. قال: فأمهل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً، ثم قال: »إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة«. قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله نداً. قال: »سبحان الله وما ذاك!« قال: تقولون: ما شاء الله وشئت، قالت: فأمهل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً، ثم قال: »إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما ثم شئت«.(21)

وفي هذا الباب يقول شيخ الإسلام ابن تـيـمـيـة رحمه الله تعالى: »والله قد أمـرنــا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، أمــرنـــا بالعدل والقسط، فلا يجوز لـنـا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه، أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق«.(22)

قال الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَامين لله شهداء بالـقـســـط ولا يجــرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بمـــا تعمـلون))(23): »... بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم، فاشهدوا له، فلو كان كافراً أو مبتدعاً، فإنه يجب

العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق«.(24)

الهوامش :

(1)سورة العصر.
(2)سورة الجاثية:23.
(3)سورة الكهف:110.
(4)الفقيه والمتفقه (2/5).
(5)سورة سبأ:24.
(6)إحياء علوم الدين (1/57).
(7)مناقب الشافعي للرازي (ص 36 والفقيه والمتفقه (2/26).
(8)المرجعان السابقان.
(9)إحياء علوم الدين (1/44).
(10)أعلام الموقعين (1/86).
(11)سورة آل عمران:71.
(12)سورة البقرة:42.
(13)سنن الدارقطني (1/26).
(14)مجموع الفتاوى (10/599600).
15)منهاج السنة النبوية (7/39).
(16)مجموع الفتاوى (8/108)
(17)مجموع الفتاوى (13/368).
(18)سورة المطففين:23.
(19)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (7/586587).
(20)مجموع الفتاوى (6/26).
(21)أخرجه: أحمد (6/271372) والحاكم (4/297)، وصححه ووافقه الذهبي وأورده الألباني في الصحيحة رقم (136).
(22)منهاج السنة النبوية (2/342).
(23)سورة المائدة:8.
(24)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (7/586 587).).

خواطر في الدعوة..

مزالق الطريق (2)

محمـد الـعـبـدة

قلت في خاطرة سابقة: إن شـبـكـة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واهية ضعيفة، إن لم تكن بعض حبالها قد تقطعت، ومــن الـظــواهـر البارزة التي يعرفها الجميع، مما يمارسه بعض العاملين في مجال الدعوة من سياسة (الإهمال) لإخوانهم، سواء أكان هذا عن عمد أو غير عمد.
وهي سياسة فاشلة من جميع الوجوه، لأن الأصــل فـي عقد الأخوة المصارحة والمناصحة، والأمر بالمعروف والشفقة والرحمة، وتفقد الأحوال كـمــا كان يفعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حين وصف بأنه يتفقد أصحابه، حتى أنه يسأل عن المرأة العجوز التي كانت تقُم المسجد حين افتقدها.
وهي سياسة فاشلة لأن الأخ (المُهمَل) سيتألم جداً، بل ربمــا أصـيب بعقد نفسية وإحباط شديد وهذا قد وقع إلا إذا كان قوي النفس، قوي الإيمان كـمــا فعل كعب بن مالك رضي الله عنه عندما هُجِرَ من الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصـحـابـة بسبب تخلفه عن غزوة تبوك، فقد كان يحضر الجماعة، ويسلم على المسلمين ولكن لم يكن أحد يرد عليه، وأراد ملك الروم استغلال ذلك، ولكن كعباً كان مستعلياً بإيمانه فصبر حتى جاء الفرج من السماء.
وهي ســياسـة فـاشـلة لأنها تعني أن الدعوة لم تسـتطع معرفة الرجـال ومـعـرفة القدرات والطاقات، ووضع كل إنسان موضعه، مهما يملك من قدرات قليلة.
وهي سياسة فاشلة لأنها دليل على التخلف الحضاري والأخلاقي، ففيها روح الأنانـيـــة والفردية، فالذي يفعل هذا لا يبقى معه أحد، وكأنه يقول: أنا ومن حولي نكفي للدعـوة.
إن هذا (الإهمال) ليس وليد هذه الأيام، بل هو من أمراض الدعوة في العصر الـحـديـــث، والحزبية والأنانية تغذيانه، وإن التحدي الذي يواجهه المسلمون يفرض عليهم أن يكفــوا عن هذه السياسة البلهاء، وأن يستفيدوا من كل طاقة، وإن الوسائل الحديثة تـسـاعد على تصنيف القدرات، وإذا لم يفعلوا فما هو إلا الهوى الذي يخفي وراءه التخلف والضعف..

هموم ثقافية

الـثـقـافـة والـذوبـان

د. محمد عبد الله الشباني

لكل أمـة من الأمم، ولكل مجتمع مــن المجتمعات البشرية ثقافة تحدد الإطار الذي يحكم سلوك أفرادها، ويوضح معالم فكرها الـــذي بدوره يحدد أنماط السلوك الاجتماعي لأفراد هذه الأمـة أو تلك، لتتميز بها عن الأمم الأخـــرى وهذه الخصائص المميزة يعرف بها نوع ونهج أي أمـة.

تتوقف قدرة الأمة على مواجهة التيارات الفكرية والثقافية الوافدة من المجتمعات والأمم الأخرى، على نوعية وصلابة ووضوح المنهج الثقافي الـذي تقـــوم عـليه لحمة نظامها الاجتماعي.
والقرآن الكريم يمثل العمود الفقري لثقافة الأمة الإسلامية، فهو النبع الـــذي تستقـي منه الأمة، وعلى توجيهاته وأوامره ونواهيه يقوم بناؤها الثقافي وإليه تلتجئ ؛ لـتـسـتـمد منه الحماية عند تكالب الأعداء، والنيل من أسسها ومتطلباتها التي يرتكز عليها أعداء هــذه الأمـــة بقـصـد إنهاكها، والقضاء على مصدر القوة الذي عليه تعتمد، وبه تصمد ضد فك ارتباطها بمقوم وجودها.
من النعم الجزيلـــة التي أنعــم الله بها على هذه الأمة أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم، ولم يكـــل أمـــره إلى الناس، وإنما أوجب الله على نفسه حفظ هذا الكتاب الكريم، حيث قال سبحانه ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (الحجر:9)، فالقرآن الكريم الذي هو النبع الذي يمـــد الأمة بالقوة، ويمنحها الحياة ويشكل إطار ثقافتها، قد حفظه الله من التحريف والتغيير والــزيادة، وبالتالي بقي وسيبقى الماء الزلال الذي يطفيء ظمأ الأمة الإسلامية على مدار تاريخـهـــا، فلا تلتفت إلى الثقافات الأخرى الوافدة وإنما تستعلي عليها وتستوعبها بدون أن تذوب فيها.
يُقصد بالمفهوم الاصطلاحي للثقافة: وجـهــة نـظـــر كل فرد من حيث السلوك والعلاقات الاجتماعية، واتجاهه الفكري وسلوكياته، وما يتضمنه ذلك من واجبات، وما يرتبط بذلك من محددات للذوق والأخلاق، وما يقدسه وما يـظـهـــره من ولاء، فكل ذلك يشكل ثقافة المجتمع، فالثقافة تحدد نسق الحياة من خلال خصائصها المتمثلة في اشتراك جميع أفراد الأمة بالخضوع لها في سلوكياتهم، وبالتالي فإن لها دور فـي وضــع معايير منتظمة وطبعية كقواعد مشتركة للسلوك والنظام الاجتماعي القائم، على القواعد الأخلاقية.
وقد يتساءل القارئ ما هو دور الثقافة في تحديد سلوكيات وأنماط أفراد الأمة، والحقيقة أن دورها يتمثل في تزويدهم بالأمور التالية:
1- تهيئة أساس التفكير والشعور.
2- تزويدهم بالتفسيرات المقنعة عن أصل الإنسان، وطبيعة العالم، ودور الإنسان في الحياة.
3- تزويدهم بمعاني الأشياء والأحداث، وبالتالي تحديد المفاهيم الأساسية وتحديد ما هو طبيعي وما هـو غـيـر طبيعي، ومنطقي وغير منطقي وعادي وشـــاذ، وأخـــلاقي وغـيـــر أخلاقي، وجميل وقبيح، وخير وشر... فالثقافة تعطي معنى للحياة، وهدفاً للوجود.
4- بناء الشعور لدى الأفراد بالانتماء إلى الأمة.
إن القرآن الكريم يجيب على هذه الأمور كلها، فهو يحدد الإطار الشامل والكامل لثقافة الأمة ؛ ولهذا فإن الاهتمام بالقرآن دراسة وحفظاً وتطبيقاً من

أهم الأمور التي يجب على الأمة بمجموع أفرادها أن تهتم به وتعتني به ؛ ولا شك أن السنة النبوية الصحيحة من القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه".
فقد أولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-عناية خاصة بالقرآن الكريم، باعتباره مصدر الثقـافـــة الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي للأمة، روى الإمام البخاري رحمه الله عن عثمان بن عفــان رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال:"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" »، وفي رواية أخرى "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" »فتعلم القرآن الكريم يتمثل في معرفة أحكامه، والتأدب بآدابه، وفعل أوامره واجتناب نواهيه ؛ وتعليمه يتمثل في إرشاد الناس قولاً بتعليمه إياهم، وسلوكاً بالالتزام به، فيكون سلوك الفرد المسلم متطابق مع أوامر ونواهي القرآن.
والقرآن الكريم يـحـــــوي بين دفتيه نظام شامل لتنظيم حياة الأمة سواءً ما يتعلق بتحديد وتوضيح النظرة إلى الوجـــود، والإجابة الكاملة على عدد من التساؤلات: حول الوجود، والغاية منه، ومآل الإنسان الـذي ينتهي إلـيــــه، أو ما يتعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعلاقة الأمة بالأمم الأخرى بحيث يشكل عقل الفرد المسلم ضمن الإطار الذي يرضي الله، ويجعل الأمة المسلمة حقاً خير أمة أخرجت للناس.
لقد أدرك الأعداء من النصارى واليهود أهمية التصـــاق الناس بالقرآن الكريم والتزامهم به وبتعاليمه، وأن الأمة الإسلامية لا يمكن هزيمتها مـــا دامت مرتبطة في فكرها، وسلوكها، وتشريعها بـه.
إن الهجمة الصليبية المعاصرة أخذت طابعاً مغايراً عما سبق، وأدركت أن القضاء على الأمة الإسلامية لا يتم من خلال الاستيلاء العسكري على الـبــــلاد، وإنما لابد من القضاء على البنية الثقافية للأمة، والمتمثلة في إبعاد القرآن الكريم عن واقع حياة الناس بحيث لا يكون له تأثير على سلوكيات الأفراد، ولا على تنظيم حياة المجتمع المسلم.
إن المنهج الذي اتبعه الغرب الصليبي لفك ارتباط المسلمين بالقرآن الكريم يتمثل في الأمور التالية:
1- إضعاف اللغة العربية بالدعوة إلى العامية، ونشر اللغات الأجنبية بين الناطقين باللغة العربية، من خلال المناهج التعليمية التي قللت من الاهتمام بدارسة قواعد اللغة العربية: من حيث التراكيب النحوية، أو من حيث فقه اللغة العربـيـــــة ؛ ولذا شجعت القيادات الثقافية في الدول العربية والتي تربت قبل رحيل الاستعمار العسكري في المدارس الأجنبية الاتجاه الحداثي المتأثر بالتيارات الفكرية العلمانية.
2- إضعاف النظام التربوي والتعليمي في العالم العربي، ومـحــاربة أية توجهات تربوية تقوم على البناء الثقافي المرتكز على القرآن ؛ وذلك بالتقليل

من الـمـواد الدينية، ومحاربة كل توجه جماهيري لدراسة القرآن وتوسيع نطاقه.
3- إحلال القوانين والتشريعات والتنظيمات المستمدة من الفكر العـلـمـــاني الوافد محل التشريعات الإسلامية القائمة على الشريعة الإسلامية، من أجل خلخلة الـبـنـية الثقافية للأمة، وإحلال البنية الثقافية الغربية.
4- ربط التنظيم الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية بالأنظمة الرأسمالية العلمانية، مـــن خلال التشريعات والنظم الاقتصادية، مثل التمكين للفكر الربوي المحرم ؛ ليكون قاعدة بناء الاقتصاد في الدول الإسلامية، وربط هذا الاقتصاد العربي ليكون تبعاً له ضمن دائرة الاستهلاك.
5- ضرب الوعي الإسلامي من خلال الإبقاء على القيادات الماسونية والعلمانية ؛ لتسلم القيادة في الدول الإسلامية، وتوجيهها لمحاربة أي توجه إسلامي، أو دعوة إلى الثقافة الإســلامية من خلال القضاء على القيادات السياسية والفكرية الإسلامية، ومحاربة كل توجه للانعتاق من السيطرة الاقتصادية الغربية.
6- التمكين للسلوكيات الغربية في البيئات الإسلامية من الانتشار، وذلك بخلخلة القيم، من خـــلال السيطرة بطريق مباشر، أو غير مباشر على وسائل الإعلام من صحافة وتلفزة وإذاعة، واستخدامها قنوات للهدم الفكري والسلوكي للأمة، بتوجيهها للتشبه في حياتها الاجتماعـيـــة بالحياة الاجتماعية الغربية ؛ مما يؤدي إلى التفسخ الاجتماعي، وذوبان المجتمع وعجزه عن مواجهة التحديات المعاصرة.
إن مجابهة هـــذه الـحـــرب العلمانية على المسلمين يقتضي من المسلمين أفراداً وجماعات العودة إلى النبع الذي يمنح الأمة القدرة على الصمود تجاه هذه الحرب الضارية والمدمرة، المعلنة تجاه البناء الثقافي للأمة، وذلك وفقاً للأمور التالية:
1- العمل على نشر حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتدريسه للصغار والكبار بحيث لا يخلو مسجد من مساجد المسلمين من حلقة تعليم للقرآن، وأن على الموسرين إمداد القائمين على إدارة هذه الحلقات بالمال، وتشجيع الناس على وقف جزء من أموالهم لهذا المشروع.
2- يجب أن تشتمل حلقات تحفيظ القرآن على دروس لتفسير معاني القرآن حتى يُتَمَكّنَ من فهم معانيه، وتكوين حلق تدريس وحفظ القرآن لتعليم الناس أحكام وتعاليم ما يقرؤونه ويحفظونه من القرآن الكريم.
3- العمل على إيجاد حلقات في المساجد؛ لـتـعـلـيـم السنة الصحيحة وفقهها وتعليم اللغة العربية وتدريسها، ورفـــــع مستـوى فهم اللغة العربـيـــة سواء من ناحية معرفة التراكيب النحوية، أو التراكيب اللغوية.
4- ضرورة مشاركة أئمة المساجد بتخصيص وقت قصير بعد أحد الصلوات المفروضة يومياً؛ لـقـــراءة وتفسير آيات من القرآن الكريم من أحد التفاسير

المعتبرة مباشرة بعد الصلاة؛حتى يمكن لـعـامــة المسلمين زيادة ثقافتهم ومعرفتهم بمعاني ما يقرؤونه من القرآن، وبالتالي ربط عامة المسلمين بالقرآن حتى يمكن على المدى الطويل إعادة الناس إلى الالتصاق بالنبع الذي يروي وينمي ثقافتهم.

إن الحرب على البناء الثقافي للأمــة الإسلامية في هذا العصر قد بلغ مداه وإذا لم يقم أفراد الأمة بمسئوليتهم تجاه الدفاع عن كينونتهم الثقافية، والمتمثلة في القرآن الكريم، من خلال دراسته وحفظه وتطبيقه في واقع حـياتهــم الاجتماعية والسعى إلى المطالبة بالعمل على أن يكون القرآن الكريم والسنة الصحيـحـة هـمـــا المصدر الذي يستمد منه الأفراد سلوكياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية والاقتصادية... فإن خطر ذوبان الأمة وتفككها، سيكون هو النهاية التي ستؤول إليها الأمة الإسلامية.

نصوص شـعرية

النشـيد الأخـير لصاحـبي

محمد شـلال الحناحنة

وردةٌ لكْ
لنسيمٍ يشاطرني فرحتي بالصديقْ
لخيامٍ تبادلني بعضَ حزني الطليقْ
للطريقْ ..
للذين سَموا لقلاع التقى
للدماء التي حرست جنتي وخطايْ
للذي يِّرني باعثاً بنزيف دمةٍ!
صامداً في العراءْ
واعداً بانتعاش الزنابق بين حواكيرِه المثخنةْ!
ممسكاً بكتاب الهُدَى
واهباً للتراب الحزين نَوَى ليلتِهْ
قد تنفس صبحُ الغريب على قامتِهْ
نَشَر الأرزُ أمنيتهْ
شَهِدَ الفجرُ أدعيَتهْ
ورمى الله طلقتَه الصائبهْ!

***

صاحبي لم يزلْ صاحبي
لم يكن طاعناً في السياحة ..
أو موفداً دولةً قاصيةْ
لم يباركْ خطا السيد المتساقِط

بين اليهودْ
لم يساومْ على قدسِهِ لضبابِ المحيطْ!
لم يكنْ (أمره فُرطا)
لم يكن أبداً باسطاً راحتيه يحومُ ..
على الشقـق المترفهْ ..
لم يقايضْ صفيحَ المخيم بالفندق الأجنبيّ
لم ينافق رموز المذلة أو ينتهي للهُوُيّ
أو لطاولة مستديرةْ!
إنما حفظ (العصرَ) و(المائدةْ)!!

***

يا أُخَيّ امتشقْ لغتيْ ..
وامتشقْ وجعي وجهادي!
فقواك تهد الغوايةَ ..
ما من قصيدٍ يُطرّزُ فكرتك الساميةْ
أنت عذتَ برب العالمينَ ..
ولذت بسورتنا الحافظة!
والبلابلُ آبتْ إلى سدرةِ الروحِ ..
أنت (الأصوليّ) .. والأصل لَكّ ..
يا أُخَيّ لنا أُفُق الانتفاضةِ ...
وقعُ الأناشيد، والفتحُ حينَ يفِجّ النهارْ ..
يا أُخَيّ لنا ساعةُ الجمعةْ ..
ولنا آيةُ البقرةْ!

مـقـال

صراعات الأحداث وحتمية المواقف

سليمان عبدالعزيز الربعي

في حيا ة الأمم، كل الأمم، مفترقات صـعـبـة ومصيرية، ترسم على لوحة الأفق روانق الغد المنتظر، إنّ ذلك لا يعني هلامية بعيدة الوقـــوع، أو قـفـزة ذهنية تميل إلى الشطط الخيالي المستحيل، كلا، فالطرق المؤثرة هي في الوقت ذاته إفراز طـبـيـعـي لمعطيات الحاضر عينه، غير متباينة عن محيطه ولا غريبة عن تفاصيله وملابساته الخاصــة لأن تلك سنة الله جل وعز المطردة.

إنها سبيل كوني قائم، يربط في غالبه بممارسات حكام الأرض ومـــدافعاتهم، التي تتشكل كيانات من آثار السنة الآنفة، وهي في صورتها غير محتاجة إلى

أمـثـلــة يـمـكن ترشيحها للتدليل، فمادتها قريبة من العيان يجتهد المرء فقط في عملية الانتقاء.
وأما في قليلها الشارد فترتبط بإحداث انقلاب عارم وتغيير يجوز أن يحكيه بعـــض ما جاء فـي القـصـص القرآني كقصة النبيين نوح ولوط صلى الله عليهما وسلم مع قوميهما، ومـــا صحب ذلك من تبدل كوني هائل ليس في مسرح الواقعتين فحسب، بل في الأرض جميعاً، وهذا السنن هـو ما عناه بعض العلماء رحمهم الله عند الحديث عن مسألة طويلة اصطلحوا على تسميتها (»بـسنـة الخلفية)« وحتمية المداولة، وهو ما ينطبق تماماً على الإرث السلوكي والنفسي والاجتماعي والمبدئي والمصيري في حياة الشعوب كلها.
والأمة الإسلامية تـبــدو لـنـــا في حاضرها رهينة مرحلة مخاضية لا بأس أن نطلق عليها مرحلة »التغيير والتجذير« أو »مرحلة المكاشفة«، وهذه المرحلة خطيرة لا شك إذ تتحدد على ضوئها المناهج وتتضح إثرها أرضيات التفاعلات الجديدة في مدى الأحداث الساخنة في العالم.
ونحن عندما نذكر طرفي الـمـعــادلـــة، أو المرحلة، في مادتها فلا يمكن أن نهمل طرفيها الحسيين اللذين ينبثق منهما بيان التـجـسـيد للصورة حقا لقد برزت على السطح تيارات كثيرة، وهي تيارات تصطف جميعاً حين المواجهة مع خصومها الألداء »الإسلاميين« علي نسق واحد يبهر المرء التفافه السريع وفي ذلك الـظرف بالذات، يدل عليـه تواصٍ شـديد بالمواجهة وعلى كافة المحاور كل بحسبه »وما تخفي صدورهم أكبر«.
وإذا كنا نعيش في القرن الخامس عشر الهجري، فليس بمستغرب البتة اختلال موازين القوامة، وبُعد البشرية عن تلمس طريق النـجـــاة، ومضاؤها إلى الهوى في صلف وتعنت غريب ((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه))(1).
في غمرة ذلك لا نستطيع أن نطالب بما لا يمكن حـــــــدوثه على وجه كوني إلا بمعجزة ربانية.
إذن، ماذا يُطلب من المسلمين على وجه التحديد؟ إن الجـــــواب على هذا التساؤل المهم يكمن في استشعار المسلمين، كل المسلمين، فيما يعايشونه من أحداث ومدلهمات، تلك التي علمتنا بأنه ليس ثمة مكان للكسالى ولا وقت للدعة والإخلاد للراحة، بل سباق مستـعر في ميادين السؤدد، أو على الأقل إلى إبداء الرأي والبحث عن مـوقـــــع للاستـقـلال الفكري والاختياري. إنّ مشكلة جل المسلمين ليست في سذاجة أفكارهم، بل في أنهم لا يفكرون، وتراهم يصادرون ملكاتهم ويتسولون فتات الآراء والتوجهات من تحت موائد اللئام.
لقد مضت الأمة تتنكب سبل المبادئ إزاء أحداثها التي تدار منذ قرون بيد شـيــــاطين من الإنس، ويظل السؤال الكبير المؤلم: من سينبه المكلومة إلى ضرورة الوعي بدينها ومبادئها، ومـتــى سيتم ذلك؟ إن من الضروري أن نضع مشكلاتنا تحت مجهر التشريع بمعايـيــره المعصـومة، كي ننجح في إيجاد

مرجعية موقرة في نفوس الجيل المستشرف، مؤمنين بأنه ليس من المتعين أن نشاهد نتائج ذلك بأنفسنا، فنحن في الحق متعبدون بالبلاغ فقط، وأما مترتباته فهي بيد البارئ سبحانه يُخضعها لحكم عديدة.
لقد سئمت الأجيال المسلمة دجل المتنفذين وسكوت الصالحين بحجة العجز عن التغيير أو الضعــف في التأثير، ولست أدري بالضبط متى يفقه أولئك أن مجرد الإصرار على المبدأ ضمانة أكيدة لثقة الجماهير ودعامة حية للاحتذاء وإيمان خالد بعدالة قضايانا، وأهليتها في سباق التصارع من أجل النصر والتمكين.
إن الرجال مواقف، وإن الموقف سجل تاريخي يُشرق به الغد أو يظلم. لقد مضت سنة الله تُثبتُ أن رجال الحق قليلون وأن الحق على الدوام مُحارب وأن أهله في الدهر مُصارعون، وتثبت أيضاً، أن هذا الحق لابد سيظهر ولو بعد حين، وهنا يتبين أن الأهمية تتجسد في التجالد عـلـيه، والمنافحة عنه.إن من حق الجيل أن يرى قيم الدين واضحة في الحدث الممارس يطبقها المسلمون أجمعون ويدعو إليها الدعاة والمصلحون، أوليس من حقه أن يقف في الغد القريب موقناً مما يحدث في محيط المسلمين على امتداد خطوط العرض والطول؟ ها نحن نعايش في ساعتنا ما يُحاك في قضية فلسطين من تلاعب سافر بالثوابت وخضوع ذليل لليهود، ومن قبله الزعم الكبير في اختزال مسؤولية القدس في ثلة من سقط الناس وبقية من غثاء العرب، ومعه استمرأنا السكوت كما تعودناه في البوسنة والصومال وكشمير وكثير من بقاع الإسلام الجريح.
إننا نتساءل: أوليس من حق كل مسلم أن يخبر عن السبب في تحول مصطلح »إرهابي« إلى كل (رافض للاستسلام) من قبل من قبلوا التوقيع ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف؟ أوليس من حق كل مسلم أن تُقرى الصورة أمامه وتُحسر عن دغل ودخل سياسات الدمى؟ أوليس من حق كل مسـلـم أن يطلع على النسخة الأصلية من عمليات التشكيك في ثوابت الدين لظرف مفروض ومن المسلمين مرفوض؟ أوليس من حق كل المسلمين أن يعلموا لم كُتب على المخلصين دفع فاتورة الرأي والكلمة الهادفة في زمن التطبيل والطنطنة؟ أوليس من حقنا جميعاً أن ندري لم سيم الشعب في ليبيا والجزائر وتونس و... عذاباً ومهانة؟ أوليس من حق الجيل القادم أن يعلـم على الأقل ثوابت وجوده ومعالم الإرث الثابت كيما يواصل مسيره؟ بلى، إن ذلك حق مشاع لهم جميعاً.
لقد آن تحقيق كل ذلك من خلال التعاون الجمعي البعيد عن التفرد، فإن من الخطل أن نظن أن تلك مهمة طائفة تخصصية بعينها أو كوكبة فكرية مُسماة لأن الدين بلاغ الجميع وقضية كل مسلم، وإذا كنا نعتقد أن ذلك البيان يُكلف الدعوة والصحوة ما لا طاقة لها به، فنطرح حلول سياسة النعامة، فإننا لم نزل في سوء ظنٍ بأهل الإسلام وجماهيره. إن الأمم الكافرة تجد في قوة

جماهيرها ما يشجعها على المطالبة بحقوقها المشروعة، ورفض كل واقع لا يسرها.
لقد شاهد العالم كله كيف وقف الروس بصدورهم العارية أمام أرتال الدبابات حـينما هُدد وجودهم بالدعوة إلى الردة الشـيوعية الحـمراء مرة ثانية وها هم الصينيون، يصمدون أمام ثورة القوة وصولجانها الغاشم، رفـضـاً للمارسات الديكتاتورية، بل ها هم تجار المخدرات ورجال العصابات يغامرون بأرواحهـــم لأجل هدف تافه أو لذة عابرة، أفترى أن المسلمين أصحاب الهدف السامي النبيل يجبنون عن التضحية في سبيل تحقيق البيان الإلهي؟! إن ذلك ولا شك سوء ظن أثـيـم، ونحن حين ارتضيناه منهاجاً بُلينا بليل مدلهم يُجيد الحداءَ فيه نُفّاخُ الأبواق، في حـيــن بقي الناصح هدفاً لأسهمهم الرائشة، ينعتونه بشتى الأباطيل ويحاصرونه على جُدر الانـفــراد في غياب تام عن الوعي التراص، إن البيان للجيل مهمة خطيرة يجب أن تعنينا جميعاً مشاركة فـي الإصلاح وسداً للثغرات حتى تشمل الداعية في مجلس توعيته، والأستاذ في قاعة درسه، والأب في بيته والأديب في ساحة قلمه والطبيب في مستشفاه والصانع في مصنعـه والحرفي في حرفته، والزارع في حقله، والرسام في مرسمه، والراعي في مراعي سهله وعلى سفوح جبله فتلك صناعة الحياة.
إن من الخطورة ألا نشعر بمصيرية المرحلة وافتراق الطرق وألا نضع الخطط للأحداث. والدراسات للتأثير وألا نجهد في إصــلاح حالة الضعف المزمنة عند كثيرٍ من المسلمين.
والسفه الأضر الأطم أن نقع في سـلـبـيـة أفجع حين لا نتفاعل مع أحداثنا المدركة بحضور مؤثر، مع كونها شامــات عظـمـى تظهر جلية على خارطة الممارسات المباشرة. إن من حق السالكين للطرقات الواعدة قراءة يومنا من خلال مساحات التأمل السليم والمعالجة المخلصة والرأي المسجل والمبدأ الراسخ السديد، فتلك هي القضية.
والله المستعان.

الهوامش :

(1)سورة (الجاثية:23).

المسلمون والعالم

الـيـمـن:
بين حلم الوحدة.. وواقع السلطة

د. عبد الله عمر سلطان

في صمت بالغ، وظروف خفية، وغـرف مـغـلـقـة... صُنعت الوحدة وأُبرمت صفقة الدولة الجديدة/ القديمة ... ثم ها هي أعوام تمر منذ ظهورها وإذا النتائج المُرّة تظهر على السطح وتبدو لكل عين مبصرة... فالحديث ذو الصوت الأجش والاتتهـامات المدوية باتت حديث المجالس، ومحور اهتمام الأصدقاء قبل الأعداء، حتى لم يعد هـنـاك حاجة لحاسة البصر في ظل هذا الضجيج المتوالي ..

ولم يكن مـن المسـتغرب أن تصل الأحداث في اليمن إلى هذا الـمأزق وتلك الزاوية الحادة... إنها إفراز طبيعي، ونتاج متوقع «للطبخة السياسية» التي أخرجـــت مشروع الوحدة بسرعة ودون إنضاج كافٍ، فإذا بهتافي الأمس وراقصي البارحة يندبون حظ اليمن التعس، ومأزق الوحدة المتفجر، ويتناقلون الحديث عن التصفيات الجسدية المتبادلة، والتشطير القادم لا محالة، وكأنه نتيجة مقطوعة عن أسبابها، ومولود غير شرعي لفراش الوحدة البائس...

فلكل من يتساءل عن اليمن ومأساته الحالية: هل من خير في حُمّى الصراع القائم اليوم بين الأصدقاء المتربصين بعضهم ببعض، و بشيء من البسط والتحليل الـمـنطقي نستعرض بعض الأسئلة التي لابد من الإجابة عليها إن عاجلاً أو آجلاً..

التركيبة والثمن:

قصة الوحدة لا يمكن أن نبدأها من نهايتها أو من منتصفها... إنها تـسـتـحق أن تُبْدأ منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها الفكرة النور، وحقيقة الأسباب التي أسرعت بإنجازها...

لاشك أن عالمنا الإسلامي والعربي خصوصاً يعيش هذه القطرية المصطنعة بـعــد قـــرون من الانحسار العقدي، الذي أدى في النهاية إلى زوال دولة الخلافة العثمانية، وانـهـيـــارها؛ ومـــن ثـم بـــروز مشـروع الدولة القطرية العلمانية الذي حقق من خلاله الغرب العديد من الأهداف دفعة واحدة، وفي المثال اليمني ظل حكم الأئمة الزيديين في الشمال نموذجاً فجاً لحالة التخلف والانحسار الذي أدى إلى ما أشرنا إليه من استباحة لديار الإسلام وشريعته ودولته العادلة، كان الإمـــام الحاكم في صنعاء يمثل أوضع تمثيل معاني الجمود والمذهبية والتخلف الذي لا يمت إلى جـوهــر الإســـلام بصلة، وإن حكم باسم شعار الدين في تلك الفترة، وإن تولى مقاليد الحكم (آل حميد الدين) من منطلق حماية اليمن من الآخرين، أما جنوب اليمن فكان صورة أخرى من صور الدهـــــــاء الاستعماري البريطاني حيث تحكم بريطانيا الساحل الاستراتيجي مباشرة، وذلك في منطقة عدن، بينما يتحكم حكام ومشائخ صوريون في بقية المناطق الداخلية التي لا يوجد فيها مصالح اقتصادية أو عسكرية مباشرة، عملاً بمبدأ فرق تسد... حتى إن هذه المشيخات الهزيلة كانت تتشاحن فـيمــا بينها على أحقية كل منها في إصدار طوابع البريد الفاخرة، التي كانت تمثل الدخل الـعـام الرئيس لبعضها، بينما لم

تكن تملك من مقومات الدولة شيئاً، أو من مستلزمات السيادة إبجدياتها.
لقد استعمر الإنجليز الجنوب لعقود طويلة حرصوا خلالها على امتصاص خيرات البلاد، وتطوير مناطق التماس بمصالحهم المباشرة، والمتمثلة في ميناء عدن وما حوله، أما الداخل أو ما يشكل أغلبية البلاد فظل يحكم بأسلوب لا يقل تخلفاً عن شمال اليمن، وإن كان تسلط »مشيخات الطوابع« أقل بكثير من تسلط حكم آل حميد الدين، الذين حسبوا أن الاستقلال عن الاستعمار يعني أن يمارسوا استعماراً داخلياً، لا يقل أذاه عن الاستعمار الخارجي في ظل حالة من التردي العقدي، حيث كان الخرافيون وطابور الصوفية ينخر في جنوب اليمن كما كانت المذهبية والقبلية تكبلان شماله ؛ ودون الخوض في تفاصيل »الاستقلال« الذي حصل للشطر الجنوبي، فإن من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن الثورة التي قامت في الشمال بُعَيْد الإطاحة بحكم الأئمة، ظلت تتصرف بنمط سياسي لا يبعد كثيراً عن الأئمة وأدواتهم السياسية...
صحيح أن الآلاف من أبناء اليمن قد قتلوا نتيجة قتال وحشي، وتدخل مصري هو أقرب للتورط، إلا أن الثورة سرعان ما ظهرت على أنها صورة أخرى لواقع العالم الثالث المتخلف والشديد الجمود... فالثورة لم تكن تحمل رسالة حقيقية تنهض بالشعب اليمني، بل إنها كانت تحمل شعاراً ضخماً وفضفاضاً يحاول أن يرضي الذين صنعوها، والذين يشكلون خطراً عليها... وهذا هو الفرق بين حركات إصلاحية تنبعث من صلب الأمة وذاتها، وتلك التي لا تتعدى كونها موجة عابرة أو صدى مغشوشاً...
قامت الثورة في الشمال وبعد عقدين من قيامها ظلت أدوات وتركيبة وتعقيدات الوضع كما هي... فبدلاً أن يحكم البلاد إمام زيدي... جرى استبدال ذلك الإمام بضابط... زيدي هو الآخر...، وظلت القبيلة ووجهاؤها أهم محرك ولاعب في الحياة السياسية اليمنية... لكن بدلاً من أن يحكم مجلس القبيلة مباشرة استبدل ذلك »بحزب« يحمل اسماً مستعاراً وجمع الشيخ بين المشيخة والمسؤولية الحزبية بدلاً من أن تكون له المشيخة فقط في عهد الإمام... أما النمو الاقتصادي فظل بطيئاً للغاية وظلت الثورة (حتى قبيل حرب الخليج) معتمدة على دعم »الإخوة العرب« كما كان الوضع في عهد الإمام... أما نسبة الأمية فقد ساهمت الثورة في تخفيضها بشكل متواضع حيث لازالت اليمن من البلدان التي تعاني من أمية طاغية.
المشكلة الحقيقية تكمن في أن الثورة اهتمت بالشكل كثيراً ... ولم تهتم بالمضمون ... وربما كان أنصار الإمام المخلوع يؤكدون أن ما كان سيقوم به البدر لو سنحت له الفرصة لايبتعد كثيراً عن إنجازات الثورات المتعددة التي وجدت نفسها في النهاية تحتفل بعيد الثورة ... لكن ما هو ثمن الثورة ... الحقيقي، وما هي إنجازاتها؟!

صحيح إن النقلة التي تحققت في الشمال خلال حكم »الأئمة العسكر« كما يحلو لبعضهم أن يسميهم، إتسمت بشيء من الحرية النسبية، والرضـــوخ لقواعد اللعبة الجديدة، إلا أن »شعار الثورة« كان يفتقد في الحقيقة إلى رسالة إصلاحية تبعث الشعب اليمني من سباته كما حَلُم المصلحون الأوائل الذين تصدوا للإصلاح في عهد الإمام ... فإذا بالوحدة المعروضة من قبل الشمال تشكل مخرجاً لقيادة طموحة تبحث عن رسـالــة أو »برنامج« يجمع الشعب من حولها، كما يضيق من حجم الخلاف حول الثروة البترولية المقبلة والتي تقع على الشريط الحدودي مع دولة الجنوب التي كانت تعاني حقاً من نـتـائــج مـــا سمي »حرب القبائل الشيوعية« التي اندلعت في يناير 1986.
لقد كان الحزب الشيوعي الجنوبي يرى في الوحدة مخرجاً من مأزق تـضــاؤل شعـبـيـته، وانحسار شعاراته وإنجازاته، مع تفكك المنظومة الشيوعية التي كانت تمده بالدعم، كما أن الـمـوجة الإسلامية العارمة التي بدأت تدق الديار الجنوبية تقتضي تحالفات إقليمية ودولية جديدة ... لقد كان مأزق الشيوعيين الجنوبيين أكبر بكثير من المأزق الذي عاشته حكومة صنعاء، لذا فقد سارعوا لركوب موجة »الوحدة« التي أصروا على أن تصاغ تشريعاتها بأسلوب عـلـمـانـي مـسـتـفـز لقطاع عريض من أبناء اليمن المسلم، ولكي تقع مسؤولية فشل مشروع الوحدة على عاتق »الرجعيين« من أبناء الحركة الإسلامية.
لقد كان مؤلماً أن يتحول مشروع مثل مشروع وحدة شعب واحد بعد طول شتات إلى قنطرة تشكل مخرجاً لمأزق النظامين الشمالي والجنوبي، ويلقى بها طعماً شهياً تلتهمه شعوب طالما تمنت التوحد بعد الشتات، والالتقاء بعد الافتراق والتكتل بعد التشرذم، كما كان واضحاً منذ اليوم الأول أن ظمأ القابضين على مقاليد الأمور في الشطرين، لا يطفئه إلا تقاسم النفوذ والسلطات في الدولة الجديدة، التي فصلت في صورتها الوحدوية لتناسب مقاس الفريقين الحاكمين ولتهمش حركة المعارضة، التي تمثلت في التيار الإسلامي الذي حاول أن يلفت الـنـظـــر إلى فداحة جريمة التلاعب بالدستور، وتحكيم غير كتاب الله لاسيما في المراحل الأولى للمشروع.
لقد بلغ الأمـر بالمتفائلين واللاعبين على وتيرة العاطفة، ودغدغة المشاعر إلى تشبيه وحدة ألمانيا بالوحــدة اليمنية... وكم كان الفرق شاسعاً بين التجربتين والولادتين... فالمؤسسات الدستورية عـــززت كـلـمـــة الشعب الألماني، ونقلت الشعار إلى واقع وقدرت حجم النقلة وتكلفـتها وانعكاسها، بل مخـــاطـــرهـــا على مشاعر وأحاسيس الشعوب المجاورة... أما الوحدة اليمنية فكانت شعاراً جميلاً عـززتـــــه مطامع الحكام، وغذته طموحات الآمرين والناهين، وشكلته في نهاية المطاف مآزق ومـنـطـلـقـات حرجة، بدلاً من أن يكون مشروعاً تحميه المؤسسات والأفراد والأحرار..

وحتى لا نلوم اليمن وحده ؛ لأن في مثاله نماذج شبيهة لحالات قائمة فإن المجتمعات التي تفهم من الثورة أنها شعار جذاب، والوحدة أنها علم واحد والدولة على أنها تقاسم للمناصب والثروات، والديموقراطية أنها ثرثرة سياسية وتجميع للأزلام والمحاسيب في صورة حزب... هذه الشعوب تملك الشعار لكنها وقت الاختبار تعجز عن حمايته والذود عنه، فهيكلية السلطة وتوزيع القوة في هذه المجتمعات هو رهن القوة المجردة، والتي تتمثل اليوم في اليمن في قوى رئيسية ثلاث: الجيش (بشقيه الشمالي والجنوبي) و(القبيلة) و(مافيا) السوق المستفيدة من الوضع القائم »... وهي قوى تملك من خلال علاقتها وتحالفاتها أن تقول للوحدة استمري إذا كان هذا في مصلحتها... أو أن تقول لها انفرطي إذا كان هذا لا يخدم مصالحها الضيقة... إنها لغة واحدة: لغة القوة لا لغة العاطفة والأحلام هي التي تقرر مصير ومستقبل وحدة كهذه... أما الشعوب التي لا تملك المؤسسات والرموز والجذور القوية القادرة على فرض إرادتها وإيصال رسالتها، فهي لا تمثل في المحصلة النهائية إلا سوقاً استهلاكياً مشاعاً تمارس الزعامات من خلاله زعامتها، وتطل المليشيات عليها لتلقي هتافات النصر وأهازيج الانتصار... الانتصار إما بحصول الوحدة أو بانقشاعها حسب ما تقرره المليشيات الحاكمة.

فتش عن الأصوليين!!

الساحة اليمنية في أحداثها المتلاحقة اليوم ساحة تملك كل عناصر الإثارة الإعلامية والصحفية، التي يحاول جهاز الإعلام العربي ترسيخ أسبابه وتسطيح جذوره ومكوناته في عنصر واحد لا غير... هو سبب الشقاء الواقع والانكسار المخيم على الديار... إنه الإسلام ودعاته ممن يسمون بالأصوليين... في اليمن اليوم كل ما يذكر القاريء العربي بهذا »المارد« الذي رُسمت ملامحه في الشقق المهاجرة التي تمارس الصحافة... في اليمن اليوم اغتيالات وعدم استقرار، وفرار رؤوس الأموال، وتضخم مخيف، وتحركات عسكرية وتهديدات متبادلة لا يمكن أن تنطبق مواصفاتها إلا على الأصوليين »أعداء السلام« والاستقرار... لكن الذي حصل ويحصل أمر آخر، فالأصوليون لسوء حظ الجهاز الإعلامي العربي ليسوا في الصورة، بل إنهم عامل تهدئة للأوضاع (حتى لو كانت فاسدة) وتركيز لوحدة طالما اعترضوا عليها بالأمس لكفر تشريعاتها، ثم هم اليوم يحاولون تعديلها بعد أن تكشف للجميع أن الذين يعملون على التشرذم والشقاق والتشطير ليسوا هم الإسلاميون »الرجعيون«، بل إنهم التقدميون ... نعم الأخوة التقدميون شمالاً وجنوباً ... والأمر يعود ببساطة إلى أن هذه القوى التي مارست الحكم قبل الوحدة لا يمكن أن تستمر في جو الاستقرار، والتعددية الحقيقية، والرأي الحر المدعوم بقوة شعبية... لقد كانت فترة الوحدة منذ يومها الأول مرحلة استقطاب للقوى وتقاسم للنفوذ والسيطرة... المؤتمر الشعبي الحاكم في الشمال يمثل

مصالح وطموحات الرئيس اليمني، وحوله الرموز القبلية والبطانة التي رأت في الـــوحدة صفقة رابحة... أما الحزب الاشتراكي فهو لا يمكن أن يوصف إلا بأنــه مليشـيـا حكمت بالحديد والنار شعباً أعزل، ثم لما رأت المليشيا أن سلطتها تتآكل وفطن قادة الحزب إلى أن نفوذهم يتقـلص، لجأوا إلى إثارة أكثر المشاعر رجعية وتخلفاً وهـمـجية حين بدأوا يثيرون النعرات العرقية والمذهبية، في سبيل بقائهم في الواجهة... إنهــا معركة لا تحتمل وجود طرف آخر، فالوحدة كانت وربما ستظل وسيلة لتصفية الحسابـات، وإحكام القبضة على السلطة بعد حدوث المتغيرات الدولية الضخمة منذ عام 1989.

أليست السلطة الحاكمة في عالمنا العربي تطرح مأزقها اليوم في اليمن بكل ثقله وانعكاساته وظلاله السوداء... ألا يستحق هذا المشهد الحاضر الآن أن تُسلــــط عليه الأقلام المستقلة، والصحافة الحرة، بعض الضوء حينما تناقش الانهيار فـي مناطق ساخنة عديدة في عالمنا العربي تُربط بظاهرة العودة إلى الجذور... إلى الإسلام...

فتش عن الإسلاميين في أمثلة عديدة تجد أنهم ليسوا كما يصور أصحاب القلوب المريضة، والأقلام المنتفشة حين يزعمون أنهم سبب كل مصيبة. وداء كل جسد عليل... الإسلاميون في كثير من الأمثلة عوامل استـمـرار لهــذه الأوضـــــــاع الـقـائـمــة... ونتاج طبيعي لعقد اجتماعي/ سياسي يـمــارس الفـشــل تلــو الآخـــــر ويتاجر حتى بأقدس المشاعر، وأكثر الأحاسيس حرارة...

المثال اليمني جدير بالتحليل والدراسة لأنـــــه نسخة مكررة للنظام العربي المأزوم اليوم، والوحدة اليمنية حلم جميل في طريق توحـــد الأمة، لكنه يواجه بكابوس السلطة التي لا تعترف بالأحلام ولا تراعي الـمـشـاعر بل قد تتاجر بها... هنا بالضبط يكمن داء الوحدة اليمنية... وربما يكمن غدها القلق... هنا أيضا..

المسلمون والعالم

كوسوفو المسلمة.. المنسيّة

عبد الله الكوسوفي

تمتد منطقة كوسوفو (والأراضي الألبانية المسلمة في يوغسلافيا سابقاً) نحو (20) ألف كم2 تجاورها (مقدونيا) من الجنوب الشــرقـي، وصربيا في الشمال الشرقي، وسنجاق والجبل الأسود من الشمال الغربي، وتحيط كوســوفــو من الجنوب ألبانيا (الدولة الأم) والمحيط الإدرياتيكي وبحيرة برسبا.

وتمثل كوسوفو بالنسبة للمسلمين الألبانيين كـــل الأراضي الألبانية المستولى عليها من قبل صربيا والجبل الأسود من عام 1787م حتى 1945م،

وتـسـكــن هـــذه الأراضي الغالبية العظمى من المسلمين الألبان من القديم وإلى يومنا هذا.
ومن أجل تسهيل عملية القضاء على هذا الشعب المسلم فقد جزأت السـلــطــات الصربية
-وبترحيب من مؤتمر لندن سنة 1913م - منطقة كوسوفو وضمت تلك الأجزاء إلى ثلاث جمهوريات يوغسلافية: ماقدونيا والجبل الأسود وصربيا.

أصل أهل كوسوفو:

إن أصل الكوسوفيين (الألبان) من القبائل الإيليرية ذات الجنس الآري وسـمــوا بأكثر مـن اسم منها: الألبان والأرناؤوط واشكيبتار، واتفق المؤرخون على أنهم أول من نــزل شـبـــه جزيرة البلقان في عصر ما قبل التاريخ على شواطيء البحر الأدرياتيكي الشمالية والشرقية قـبل آباء اليونان، وكان ذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ثم توسعت وانتشرت القبائل الإيلـيرية في أنحاء البلقان، وبعد ذلك اجتمعت القبائل وانتخبت رئيساً لها وأنشأوا دولة لهم قبل الميلاد بثلاثة قرون ؛ وجمهورية كوسوفو اليوم تقع في الموقع الذي كان يسكن فيه أجـدادهم الداردانيون والقبائل الإيليرية الأخرى، وكانت دولتهم تسمى داردنيا، وبمرور الزمان ضعفت دولتهم فاحتلها الرومان،وبقيت تحت احتلالهم إلى أن زالت امبراطوريتهم، وانقسمت إلى شرقية وغربية فأصبحت بلاد الألـبـــــان تحت حكم الإمبراطورية الشرقية، حتى فتح العثمانيون بلادهم ونعمت قروناً تحت حكمهم.

اعتناق الكوسوفيين الإسلام:

اتفق المؤرخون على أن الإسلام دخل إلى البلاد البلـقـــانية قبل الفتح العثماني، وذلك عن طريق التجار والدبلوماسيين والدعاة، إلا أن ذلك كان على نطاق ضيّق ومحدود، أما انتشار الإسلام في تلك البلاد فقد كان بعد مجيء العثمانيين، ودخل فيه الشعب الألباني أفواجاً، وحسن إسـلامهم وكان منهم في الدولة العثمانية القواد العظام مثل بالابان باشا (قائد من قواد فتح القسطنطينية) وكبار الكتاب والشعراء (كانوا يؤلفون بلغات خمسة هي: الألبانية والبوسنوية والعربية والتركية والفارسية) مثل محمد عاكف أرسوي رحمهم الله جميعاً.
وقد تمكن الحكم العثماني في جزيرة البلقان بصورة نهائـيــة بعد المعركة الشهيرة المسماة »معركة كوسوفو »، التي قاد فيها السلطان العثماني مراد الأول الجـيــش الإسلامي بنفسه، وقبيل فوز الجيش الإسلامي استشهد السلطان مراد وتسلم القيادة السلطان بايازيد، وانتصر على الجيوش المتحالفة (الأوروبية) وقتل الملك لازار (الصربي) وذلك سنة 792 هـ (1389 م)، فبعد هذه المعركة الحاسمة خضعت كوسوفو وصربيا تحت الحـكــم

العثماني ما عــدا مدينة بلغراد فإنها فتحت في عهد السلطان سليمان القانوني، وذلك فـي 26 من رمضــان المبارك سنة 938هـ (1521م).
وكانت ولاية كوسوفو إحدى أكبر الولايات العثمانية في »روملي« (أوروبا) وكانت أول عاصمة لها مدينة بريزرن (PRIZREN) ثم بريشتينا (PRISHTINA) وفي الأخير مدينة اشكوب (SHKUP) عاصمة مقدونيا اليوم، ومازال فيها إلى يومنا هذا عدد من الألـبـان أكبر من عددهم في تيرانا عاصمة ألبانيا.
بـعـد اضطهادٍ بشع في الفترة الشيوعية الأولى (بعد الحرب العالمية الثانية) نجح المسلمون الألبان في كوسوفو بالحصول على الحكم الذاتي، وذلك في أواخر عهد الهالك تيتو ؛ وفي مستهل الثمانينات عاد الصرب من جديد إلى تعديل الدستور وابتلاع كوسوفو مرة أخرى، الأمــــر الذي رفضه المسلمون وقاموا سنة 1981 م بثورة شعبية على مستوى كوسوفو كلها يطالبون فيها باستقلال (كوسوفو) عن (صربيا) ومنحها حكم الجمهورية داخل يوغسلافيا الفيدرالـية الشيء الذي جعل السلطات الصربية تأمر القيادات العسكرية بقمع المظاهرات السلمـيـة حيث نزل الجيش المدجج بالدبابات والأسـلحة الحديثة وقتلوا من المسلمين في يوم واحد أكثر من 300 شخص.
فاستمر المسلمون في المطالبة بحقوقهم إلى بداية انهيار الشيوعية حيث بدأت كل جمهورية تأخذ مسيـرتـهـا نحو استقلالها التام عن يوغسلافيا الفيدرالية فتوقع المسلمون الألبان في كوسوفو كإخوانهم في البوسنة والهرسك أن ظهور الديمقراطية والحرية في أوروبا الشرقية وفي الجمهوريات اليوغسلافية نفسها ستمنح لهم حقوقهم أيضاً، فأعلنت البوسنة استقلالها (بعد سلوفينيا وكـــــرواتيا) إلا أن أعــداء الإسلام لم يسمحوا بقيام دولة مسلمة وسط تلك المنطقة الأوروبية بل سعوا فـي قـتـل أهلها، وتهجيرهم، وتشريدهم فحدث ما حدث من الجرائم الوحشية والمذابح الجماعية التي شهدها العالم بأجمعه ولم يحرك لها ساكناً.
وكذلك المسلمون الألـبــان فـي كوسوفو أجروا فيما بينهم استفتاء في طور تفكيك الاتحاد اليوغسلافي في سبتمبر »أيلول« 1991 م أسفر عن انحياز الأغلبية المطلقة للاستقلال، وتطور الأمر إلى انتخاب مجلس نيابي وتشكيل حكومة وتنصيب رئيس لجمهوريتهم المستقلة: هو الدكتور إبراهيم دوغوفا ولكن الحكومــــة الصربية تجاهلت كل هذه الإجراءات واعتبرتها كأن لم تكن بل بدأت بمرحلة جديدة من الاعتقالات والتعذيب والاضطهاد فاقت سابقاتها حيث سحبوا أدنى الحقوق الإنسانية من هذا الشعب الأعزل.

مخطط تدمير الاقتصاد الكوسوفي:

إن حكومة بلغراد لم تتورع في استخدام أية وسيلة في سبيل إرغام المسلمين الألبان على الهجرة من كوسوفو.
ففي المجال الاقتصادي على سبيل المثال ذكرت جريدة »بويكو »الألبانية أن حكومة صربيا ماضية في إخضاع اقتصاد كوسوفو لسلطة بلغراد المباشرة،

وذكرت أن 296 شركة عامة في كوسوفو تم دمجها بـ 173 شركة مماثلة فـي صـربـيـــا، من بينها جميع منشآت الطاقة الكهربائية، وشبكة السكك الحديدية وشركات النقل، والـطـيــران المدني، واستخراج المعادن، وصناعات المطاط والنسـيج والجلود، والمواد الكيماوية، والانـتــاج الـــزراعي، والغذائي ومجالات السياحة، وهذا يعني أن حكومة صربيا تسرق من كوسوفو بلايـيـــن الدولارات، إضافة إلى سيطرة بلغراد التامة على جميع مناجم كوسوفو وتعطيلها، وتفريغها من العمالة المسلمة ومن الخبراء المسلمين، الشيء الذي جعل منجم »تربجا« (أكبر المناجم في يوغسلافيا السابقة والمشهور بالرصاص والذهب والفضة والمواد الكيماوية الأخرى) في مدينة ميتروفيتلا يخسر سنويا (57ر200ر000) دولار، كل هذا بسبب عدم وجود عدد كافٍ من العمال وبسبب عمل غير المتخصصين من الصربيين.

ومن ناحية أخرى أخذت الحكومة الصربية منذ شـــهـور بتقـطـيـع الأشجار فـي الغابات الكوسوفية وشحنها إلى صربيا والجبل الأسود للاستفادة منها هناك ويتجاوز هــذا التقطيع (500ر000) متر مكعب.

ومن ذلك الاستيلاء على الأراضي الزراعية التابعة للمسلمين، وبناء مـسـتـوطـنـات صربية عليها، وخاصة في الأماكن التي فيها كثافة المسلمين الألبان كبيرة.

من ناحية أخرى تستمر السلطات الصربية في فصل المسلمين من العمل بشكل كبير جداً مع أن نسبتهم في الماضي كانت ضئيلة جداً، ففي سنة 1981م كانت نسبة العمال من جميع الشعب الألباني 11% فقط. وفي السنوات الأخيرة تقلصت هذه البقية الباقية من المسلمين حينما طردت (520) عائلة مسلمة من منازلهم، وهناك (500ر000) شخص تحت خطر المجاعة.

المجزرة القادمة في كوسوفو:

إن كوسـوفو منذ سـنة 1981 م وإلى يومنا هـذا تعيش حالة الطوارئ، وقد بلغ عدد الجنود الصربيين أكثر من 85 ألف جـنـدي وظـيـفـتـهــم قهر وبطش المسلمين وقد أجروا في الأيام الأخيرة تمشيـط للمدن والقرى المسلمة لمصادرة الأسلحة التي لم توجد أساساً لدى الأهالي المسلمين بخلاف البيوت الصربية الممتلئة بأنواع من الأسلحة المختلفة، وقد اعترف بذلك رئيس الوفد »البرلماني الأوربي« »جون دي«، الذي زار كوسوفو في هذا الشهر حيث يقول: »إن الـصـــرب شددوا من إجراءاتهم لطرد الألبان من كوسوفو وذلك بالضرب والقتل والسجن والتهديد والسرقة وسحب الأسلحة..

كل هذه الاجراءات الصربية، ليست إلا مقدمة صريحة للمذبحة الكبيرة التي ينويها هؤلاء المجرمون ضد المسلمين الكوسوفيين، وما جرى لإخواننا في البوسنة تحت مرأى ومسمع من العالم بأجمعه أكبر دليل على ذلك، وقد تكون ضربة المسلمين في كوسوفو أشد وأنكى حيث تتميز كوسوفو بالنسبة

العالمية للمسلمين وفيها مدن وقرى خالية من الصرب (بخلاف المدن البوسنية) فيسهل عليهم قصفها وتدميرها دون أي تردد، لاسيما ونحن نرى تخاذل الموقف الدولي تجاه هذه القضية الخطيرة التي قد تتفجر في أي لحظة، ويروح ضحيتها عشرات بل مئات الآلاف.

ملخص جرائم النظام الصربي ضد المسلمين في كوسوفو من 1981م إلى يومنا هذا:

- قتلت السلطات الصربية خلال هذه السنوات مئات المسلمين الألبان وذلك في حالة السلم من غير إعلان حرب في كوسوفو.
- قتل أكثر من 100 جندي ألباني خلال خدمتهم العسكرية في الجيش اليوغسلافي (الصربي) وجرح أكثر من 600.
- وضعت السلطات الصربية سنة 1990 م سماً في خزانات مياه المدارس بمدن كوسوفو وتسمم منها أكثر من سبعة آلاف طفل.
- فصل من العمل أكثر من 150 ألف عامل مسلم، وكان عددهم الإجمالي قبل ذلك 200 ألف عامل مسلم فقط.
- احتلت صربيا جميع مستشفيات كوسوفو وطردت جميع الأطباء والممرضين الألبان،فليس اليوم للمسلم في كوسوفو مستشفى يتجه إليه للعلاج، وليس للمرأة الألبانية مستشفى وولادة تلد فيها.
- أغلقت تقريبا جميع المدارس الابتدائية والثانوية الألبانية.
- أغلقت المكتبة المركزية الجامعية وجميع مكتبات المدارس الأخرى وأخذت السلطات الصربية كثيراً من الكتب العلمية النادرة ونقلتها بواسطة الشاحنات العسكرية إلى مصانع الورق لتصنيعها ورقاً عادياً!!
- أغلقت أكاديمية العلوم والفنون في بريشتينا، وكذلك يمكن أن يقال عن معهد الألبانولوجي لأن الدولة لا تنفق عليه.
- أغلق معهد التاريخ.
- أغلق التلفزيون والإذاعة (باللغة الألبانية) وصودرت الجريدة الوحيدة اليومية باللغة الألبانية (ريليندايا).
- فصل جميع الألبان العاملون في الشرطة من وظائفهم.
- بدّلت لغة الإدارة الألبانية بالصربية وذلك في جمهورية يبلغ فيها عدد المسلمين 93 % ويبلغ عدد الصرب فيها 7 % فقط!!

ماذا بعد هذه الحقائق الثابتة التي اعترف بها حتى ممثلوا السياسة الغربية؟ هل سيبقى المسلمون مكتوفي الأيدي دون اتخاذ أية إجراءات تساعد في إيقاف هذه المعاناة، ومنع وقوع مجزرة بشرية جديدة في قطر جديد من العالم الإسلامي؟

أو سـيـطــلــق الـمـسـلمون كما نرجو هذه المرة المقولة الشهيرة (الوقاية خير من العلاج) قبل انتقادهم بالمشاعر والعواطف، فيما يرون تلك الدماء البريئة والأعراض المنتهكة وما أكثرها عند المسلمين هذه الأيام.
لذا نرفع أصواتنا إلى جميع المسلمين في العالم للقيام بواجب الاخوة الإسلامية لمنع حدوث مذابح متوقعة...
والله نسأل أن يعلي كلمته ويعز جنده.. والله غالب على أمره

المسلمون والعالم

حقيقة المفاوضات
بين جبهة تحرير مورو الوطنية والحكومة الفلبينية
وموقف جبهة تحرير مورو الإسلامية

محمد أمين

وردنا من مكتب الإعلام الخارجي لجـبـهة تحرير مورو الإسلامية البيان رقم (29) الصادر في غرة هذا الشهر والمتضمن موقف الجبهة بين المفاوضات الأخيرة مع الحكومة النصرانية في الفلبين والأعمال الجهادية التي قام بها المجاهدون مؤخراً.. ويسرنا إيراد أهم ما فيه، شاكرين للجنة الإعلام الخارجي تواصلها.

- الـبـيـان -

لعل إخواننا المسلمين المهتمين بالقضايا الإســـلامـية ومنها قضية مسلمي مورو في جنوب الفلبين يتساءلون عن موقف جبهة تحرير مورو الإســلامية إزاء المفاوضات التي جرت في جاكرتا أندونيسيا من 26/10 - 6/11/1993م بين جـبـهـــة تحرير مورو الوطنية وبين الحكومة الفلبينية الصليبية.
وقبل بيان موقف جبهة تحرير مورو الإسلامية نوضح فيما يلي بـعض الأمور التي حدثت قبل المفاوضات المذكورة:
1- بدأت مفاوضات مسواري مع مندوبي الفلبين في طرابلس ليبيا ســـراً بواسطة الرئيس الليبي في العام الميلادي الماضي (1992م) واستمرت الاتصالات السرية بيـن الجانبين منذ ذلك الوقت إلى أن تم الاتفاق على استئناف المفاوضات في 14-16/4/1993م في أندونيسيا وأعلنت في هذه الجولة بعد أن سادها كتمان محكم خلال العام الماضي وأوائـل هذا العام، وبعد هذه الجولة المعلنة استمرت الاتصالات بين الجانبين إلى أن تم الاتفـــاق على عقد جولة ثالثة من المفاوضات في 26/10- 6/11/1993م في جاكرتا أندونيسيا.

2- المفاوضات المذكورة التي عقدت في أندونيسيا لم تتوصل إلى أي شيء سوى الاتفاق على وقـــف الـنـزاع بين جبهـــة تحـريـــر مورو الوطنية وحكومة راموس، واستمر الحوار بين الجانبين.
3- أثناء المفاوضات السريّة بين جبـهـــة تحرير مورو الوطنية وحكومة راموس الصليبية اتصلت حكومة الفلبين عدة مرات بجبـهــة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أميرها الشيخ/ سلامات هاشم وعرضت عليها التفاوض معها ولكن جبهة تحرير مورو الإسلامية رفضت، وتكررت الاتصالات ولكن بدون جدوى، وذلك لأن دولة الفلبين لا تريد التعايش أو السلام مع المسلمين وإنما تريد استمرار استعبادهم وسيطرتها على بلادهم لتستمر في سرقة أموالهم ونهب خيراتها.

موقف الجبهة من المفاوضات المذكورة:

1- إذا اتفق الجانبان على تنفيذ اتفاقية طرابلس المعروفة كاملةً نصاً وروحاً دون اهمال أي بند من بنودها، فلن تعارض الجبهة هذا الحــــــوار لأنها تعتبر الاتفاقية المذكورة اتفاقية مقبولة.. أما إذا لم تنفذ الاتفاقية كاملة أو أهمل بـنـــد من بنودها أو جزء من أي بند من بنودها، فستعارضها الجبهة الإسلامية معارضة شديدة، وترفض أي اتفاق أقل أو أدنى من اتفاقية طرابلس في عام 1976م.
2- على أن تنفيذ اتفاقية طرابلس لا يتم إلا إذا طبق الحكم الإسلامي، فلا معني لاعطاء المسلمين حرية دون أن يحكموا أنفسهم بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وعند عدم تطبيق الشريعة الإسلامية فإننا نعارض الاتـفـاقـيـة معارضة شديدة ونستمر في الجهاد في سبيل الله لأن هدفنا هو إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، وهذا لا يتم إلا إذا طبقت الشريعة الإسلامية تطبيقاً كاملاً في جميع شؤون الدولة وحياة المجتمع والفرد ؛ علماً بأن جبهة تحرير مورو الإسلامية تعد الآن من خلال مجلس الشورى وهو جهازها الدستوري والاستشاري تعد دستوراً إسلامياً على ضوء الكتاب والسنة وتطبقه في كل شبر من أراضي مورو المحررة.
3- لا علاقة لجبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أميرها الشيخ/ سلامات هاشم وجماهير شعب مورو المسلم الذين يلتفوا حولها بالاتفاق المذكور على وقف النزاع بين جبهة تحرير مورو الوطنية (مسواري) وحكومة راموس الصليبية الذي توصلـــــت إليه في مفاوضاتها بأندونيسيا في 26/10- 6/11/1993م ؛ وإن مجاهدي جبهة تـحـريـــر مورو الإسلامية ثابتون في خنادقهم في الجبهات القتالية وهم شاهرون السـلاح أمـام العدو المعتدي، وبعض الفصائل الجهادية تستمر في عملياتها العسكرية وهجومها المضاد ضد القـــوات المسلحة الفلبينية التي قامت وتقوم بعمليات همجية ضد المسلمين المدنيين العزل، وقــد تصاعدت المعارك بين مجاهديها وبين جنود راموس الصليبيين أثناء المفاوضات المذكور، وذلك أن جنود العدو الماكر اعتدوا على المسلمين

الآمنين العزل ودافع مجاهدونا عن هؤلاء المسلمين الأبرياء فقاموا بهجمات مضادة ضد أولئك المعتدين، وقد تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد.

اعتداء صليبي على مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية:

بعد يوم واحد فقط من توقيع اتفاقـية وقف النزاع بين الجبهة الوطنية وحكومة رامـوس الصلـيـبية، هاجم جنود رامـوس الصليبيون أحد مواقع مجاهدي جبهة تحرير مـــورو الإسلامية في الجبهات الـقـتالية على حدود محافظة ماجينداناو المتاخمة لمحافظة لاناو الجنوبية، وكان ذلك يوم الاثنين 2 جمادى الأولى 11هـ ووقع الجانبان على اتفاقهما يوم السبت 22 جمادى الأولـى 11هـ ؛ ورد مجاهدونا على هذا الاعتداء بهجوم مضاد، وبعد معركة عـنـيـفـة اسـتمــرت خمس ساعات أو أكثر تقهقر جنود العدو المهاجمون وطاردهم مجاهدونا واستولوا على أحد مواقع المعتدين بعد أن قتل منهم ثمانية عشر جنديا صليبيا واستولى المجـاهدون على أسلحتهم وعـدتـهـم وكان هجوم العدو أثناء اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الإسلامية في مكان قريب من الموقـــع الذي تعرض للهجوم، وكان هذا الاعتداء الغادر متوقعا فقد أعلن الرئيس فيديل رامـــوس يوم السبت 22 جمادى الأولى 1414هـ أي قبل يومين من هجوم قواته على موقع مجاهدينا أن الاتفاق على وقف النزاع بين حكومته وبين جبهة مسواري الوطنية فقط وأن جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة سلامات هاشم ليست طرفاً في الاتفاقية ومن ثم لا تشـمـلـهـا الاتفاقية على وقف النزاع، ورحبنا بذلك التصريح.

حكومة راموس توزع الأسلحة على النصارى:

مـــن الدلائل التي تدل على أن الحكومة ليست جادة في مفاوضاتها السلمية مع الجبهة الوطنية، وأنها مصممة على تنفيذ خطتها لمحاولة القضاء على الإسلام والمسلمين في بلاد مورو المحتلة: أنها وزعت ومازالت توزع أسلحة متطورة على النصارى المستوطنين، وتم توزيع آلاف من الأسلحة خلال الأسبوعين الماضيين على المستوطنات النصرانية المجاورة للقرى الإسلامية وهؤلاء النصارى الذين وقعت في أيديهم الأسلحة يقتلون كل مسلم يجدونه ذكراً أو أنثى طفلاً أو شيخاً بل حتى الرُضّع، لاعتقادهم أن الطفل المسلم الرضيع سيكبر وسيكون عدواً لهم.

ونتيـجـــــة لهذه الأعمال الهمجية قد تشرد عشرات الآلاف من المسلمين تاركين وراءهم بيوتهم وكل ما يملكون، فضلاً عن مزارعهم وحقولهم التي هي مصدر رزقهم اليومي، وقد نهب الصليبيون المعتدون جميع أموال المسلمين المتروكة حتى الأواني والأدوات المنزلية، ولم يبقَ لهــؤلاء المشردين شيء سوى الملابس التي على أجسادهم، وبعد أن نهب وسرق النصارى أمــــلاك المسلمين حرقوا بيوتهم ودمروا قراهم، وقد تعاونوا على القيام بهذه الأعمال الهمجية مع جنود راموس الصليبيين.

عمليات جهادية لرد عدوان المعتدين:

يقوم مجاهدونـــا بهجمات مضادة لرد عدوان المعتدين، وقد نفذوا عدة عمليات جهادية ناجحة والحمد لله خـلال الأسـبوع الماضي، ونذكر بعضها فيما يلي:

الهجوم على مركــز المليشيا النصرانية في قرية اينلابو بمحافظة يوكيدنون في يوم الثلاثاء 25 جمادى الأولى 1414 هـ، وأسفر الهجوم عن مقتل عشرين من رجال المليشيا وإصابة أربعة عشر منهم، وانسحب المجاهدون للفارق الكبير جداً بين المجاهدين والمعتدين عدة وعتاداً.

وفي اليوم التالي: الأربعاء 26 جمادى الأولى 1414 هـ »هاجم مجاهدونا مركز جنود العدو في مديرية داmolوج بـنـفـــس المحافظة، وبعد قتال شديد مستمر استمر ست ساعات تقريباً انسحب المجاهدون تجاه مجموعة من الميليشيات التابعة للعدو، وقد فتح رجالها النيران بمجرد شعورهم باقتراب المجاهدين، وانسحب المجاهدون إلى اتجاه آخر دون إطلاق النار فصارت المعركة بين جـنــــود العدو الذين يطاردون المجاهدين وبين المليشيات الحكومية المذكورة، وترك المجاهـــدون رجال العدو يقاتلون بعضهم بعضاً، وقد قتل عدد كبير من الجانبين ولم يدركوا أنهم وقعوا في خدعة مدبرة إلا بعد أن سقط منهم الضحايا الكثيرون حيث جعل الله بأسهم بينهم.

وفي مساء نفس اليوم هـجــم المـجـاهــــدون على مـعـسـكــر العدو في قرية أنجاآن في نفس المحافظة، وكان جنود العدو يدربون المليشيات النصرانية في هذا المعسكر لإعداد رجالها في حرب المسلمين، وقد لقي عدد كبير من الجنود والمتدربين مصرعهم ويقدر عدد المقتلوين بأكثر من ثلاثين والمصابون كثيرون.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي: الخميس 27 جمادى الأولى 1414هـ وقعت دورية العدو في كمين نصبه مجاهدونا في قرية بنابونان بنفس المحافظة (بوكيدنون) وقتل جميع جنود الدورية وهم 28 جنديا واستولى مجاهدونا على جميع أسـلـحـــة الـمقـتولين وأجهزتهم الحربية.

وفـي نفس اليوم وقعت سيارة عسكرية للعدو في كمين نصبه مجاهدونا في الطريق العام على حـــدود محافظة لاناوا الجنوبية المتاخمة لمحافظة لاناو الشمالية، وقتل ثلاثة من جنود العدو في السيارة وأصيب ثمانية منهم.

أما فـي مـديـريـة بانيسيلان التي دمر الصليبيون ستة من قراها الإسلامية وحرقوها بعد أن سرقوا ونهبوا جـمـيع أموال المسلمين فيها، فـكــانــت المعارك فيها مستمرة منذ أن ارتكب الصليبيون جرائمهــم البشعة وحتى الآن، وقد تمركز جنود راموس مع المليشيات الصليبية في مركز المديرية وحاصرها مجاهدونا ويقومون بغارات مستمرة على هؤلاء المجرمين.

وفي بلدية أليوسان المجاورة بدأت المعارك أمـــس السبت 29 جمادى الأولى 1414هـ بين مجاهدينا وبين جنود العدو، وتستمر الـمـعركة حتى الآن

وجنود العدو يستخدمون خلال هذه المعارك المدرعات والمصفحات والـمـدافـــع الثقيلة كما يستخدمون الطائرات العمودية (الهليكوبتر) والطائرات الـهـجـومـيـة ضد المسلمين المدنيين العزل وضد مجاهدينا الذين لا يملكون سوى الأسلحة الخفـيفة، ولكن مع الفارق الكبير جداً في الإمكانيات فإن مجاهدينا يقفون بوجه هؤلاء المعتدين الظالمين..
وعموما قد اندلــع لهـيـب المعارك في أنحاء بلاد مورو المسلمة، ففي محافظة باسيلان التي دمر جنود العـــدو الصليبي عدداً كبيراً من قراها وأحرقواها منذ شهور وفعلوا فيها مثل ما فعلوا اليوم فـي مديرية بانيسيلان في تلك المحافظة الجزيرة التي تضم جزيرة كاملة تستمر المعارك أيضا ؛ وفي معاركهم قبل أمس (الجمعة 28 جمادى الأولى 1414 هـ) قتل سبعة من جنود الـعــدو وأصيب عدد منهم، وكانت هناك معارك في هذه المنطقة لم تذكر في بياناتها الـسـابقة لعدم وصول التقارير الميدانية إلينا إلا في هذه اللحظة، ولا تتسع المجال لذكـــر تفاصيلها.
ويكفي أن نقول أن مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية في جميع أنحاء بـــلاد مـــورو قد عاهدوا الله على أن يمضوا قدماً في جهادهم في سبيل الله، إما أن يمكن الله المؤمنين ليقيموا دولة الإسلام في أرض مورو وإما أن يستشهدوا فينعموا بنعيم جنات الخـلـد إن شاء الله.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المسلمون والعالم

العالم الإسلامي في مرآة الصحافة

أخي القاريء:

في هذه الزاوية سنحاول جاهدين اخـتـيار مقتطفات من بعض التقارير والأنباء واللقطات في بعض الصحف السيارة، مما له مساس بواقـع أمتنا الإسلامية مع العلم أن ما يُطرح في هذه الزاوية لا يعني بالضروة الموافقة على ما جاء فيه بل قد يقصد منه بيان الرأي الآخر.

1- الجزائر: الإسلاميون يكسبون جولة في حرب قد تكون طويلة:

لا أحد يتجرأ على التلفّظ بالعبارة لأنها تبعث الرعب في قلوب الناس جميعاً في الجزائر، وتشكل بداية انهيارات خطيرة على مستوى معـظــم بلدان المغرب العربي: إنها »الحرب الأهلية بين العرب والبربر« أو »بين العرب والفرانكفونـيـيـن« وقد لاحت معالمها الأولى، بل بدأت ترتسم، وكأن الجزائر الموزعة ثقافياً بين إطلالة على الـغـــرب بربرية في معظمها (ومفعولة في

الحقبة الاستعمارية) وبين جذور عربية إسلامية تعـود إلى بداية القرن الأول الهجري.
هذه الحرب يشير إليها الناس العاديون حالياً بنوع من الهلع ويـسـاهـــم فيها نمطان من التـطـــرف: إسلامي في الشارع وفرانكفوني غربي في موقع القرار بالسلطة ؛ وإذا كـــان للمتخوفـيــن من »حكم أصولي« في الجزائر مبرراتهم الوجيهة فذلك لا يلغي واقعاً آخر: أن الداعين إلى حرب حتى النهاية ضد العروبيين والإسلاميين هم في معـظمهم رموز بربرية في مواقع الـثـقـافة والسياسة والمؤسسة العسكرية معاً، والخاسر في هذه الأحوال هم المعتدلون الذين يتلقون حـالـيـاً مزيـداً من التهميش سواء في أوساط الإسلاميين أو في الحكم، وكلما تراجع الاعتدال تقدمت الحرب الأهلية.
وفي هذه الأجواء نرى تصعيداً سياسياً بربرياً ضد كل ما هو »إسلامي« وخصوصاً عبر »التجمع الجزائري من أجل الثقافــة« (بربــري)، وعلى رأسه أبرز المدافعين عن الفرانكفونية سعيد سعدي، الذي لا يقبل كل من يناضـــل ديـنـيـــاً من أجل السلطة، ويأبى القيام بأي عمل مشترك مع »حماس« موضحاً أنه »لا يعترف بعباس مدني أو علي بلحاج ولا بنحناح أو جاب الله«، ولا شك أن هذا الكلام ينسجم مع قناعات مبدئية علـمـانـيـة غـيـــر أنه لا يساهم في تسوية سياسة تنقذ البلاد من أتون الحرب الأهلية.

وأخيراً يختم الكاتب مقاله بقوله:

وحصيلة ذلك كله، كما يراها تقرير أمريكي شبه رسمي »تدهور الأوضاع في الجزائر، حتى بضع سنوات مقبلة، مع تغيير دوري للرؤساء إذا لم يسبق ذلك انقلاب عسكري صريح أو انتفاضة شعبية كاسحة في وقت قريب وربما في خريف هذا العام«..
إنــه »خريف غضب« من نوع آخر في الجزائر، وآفاق الغلبة فيه لا تبدو حتى الآن في صالح الحكم.

(الأسبوع العربي، العدد 1777، 17 جمادى الأولى 1414 هـ)

2 -الجزائر: آخر الدواء.. الانقلاب العسكري:

»إن العارفين بخـفـايـــا الأمور، وملابسات الوضع وتعقيداته، يؤكدون أن خيار الانقلاب العسكري هو أوفر حظاً من الحوار، ويدعم هؤلاء نظريتهم بعدة حجج منطقية وواقعية:
أولا: إن فـريـــق المتشددين بين الجنرالات بقيادة محمد العماري مازال يرفض رفضاً باتاً التحاور مع الاسلاميين المتطرفين، ويعتبر ذلك خطراً على الجزائر ومستقبلها.
ثانياً: إن دخــــول السلطة في عملية الحوار مع »الإنقاذ« اليوم يعني اعترافاً بتراجع الأولى وانتصار الأخيرة، ويبدو من المؤكد أن »الإنقاذيين« سيستغلون

هذه المعادلة للمطالبة بتنازلات أقلها العودة إلى صناديق الاقتراع، والانتخابات التشريعية الأخيرة، أي تسليم السلطة للإسلاميين.
ثالثا: ولعله العامل الأهم، أن الإيحاء بقبول انتصار الإسلاميين في الجزائر يحمل مخاطر اقليمية مغاربية وعربية خطيرة جداً، ويهدد بانتقال العدوى إلى الدول التي تشهد تطرفاً أصولياً !!، ويؤدي إلى زعزعة الاستقرار في أكثر من بلد عربي، وهو أمر غير مقبول لا مغاربياً ولا عربياً ولا دولياً.
وأضاف الكاتب في معرض حديثه عن المرحلة التي تلت تسلم الجنرال محمد العماري رئاسة الأركان:
»ويلاحظ أن عمليات الحكم بالإعدام قد ازدادت مع تسلم العماري مهامه وكذلك تميزت عمليات مكافحة الإرهاب تصعيداً كبيراً حيث كثرت عمليات التمشيط والمطاردات الدموية للإسلاميين المسلحين، ولجأت قوات الأمن إلى استخدام الطائرات، وقنابل النابالم في قصفها لمعاقلهم في الأحراش والغابات وأكثر من ذلك تؤكد المعلومات أن الجنرال العماري أمر بإنشاء (سرايا الموت) وهي وحدات »كوماندوز« داخل جهاز مكافحة الإرهاب، تقوم بإعدامات جماعية وتقف وراء العثور على جثث إسلاميين في اليوم التالي لأي هجوم أو كمين يقوم به المتطرفون ضد رجال الأمن وفي المكان نفسه، وعلى الصعيد السياسي تمكن العماري من تأجيج الصراع بين المجلس الأعلى للدولة والحكومة وبالتحديد بين على كافي المؤيد للحوار ورضا مالك الداعي للحسم العسكري.

ويختتم الكاتب مقاله بقوله:

»فإذا نجح العماري في حسمه العسكري قبل نهاية ولاية المجلس الأعلى يكون قد أنقذ البلاد من الخطر الإسلامي!، وإذا فشل يجري اللجوء إلى خالد نزار كرجل الحوار القوي، ولكن مفاجأة الساعات الأخيرة قد تلغي هذا الاتفاق »الجنتلمان« بين الجنرالات، وتحسم الوضع لصالح الفريق الانقلابي الذي لا يجد في الحوار سوى تسمية بديلة للهزيمة والتراجع أمام الإسلاميين.
(الوطن العربي عدد 872-19/11/1993م)

3- حقاً إن سياستهم منافقة:

تبذل الولايات المتحدة الأمريكية جهوداً جبارة منذ سنوات طويلة؛ للحد من تسليح كافة دول هذه المنطقة من العالم سواء أكانت عربية أو إسلامية وتمارس وحلفاؤها الأوروبيون ضغوطاً لا تعرف الكلل على كل الدول التي تورد السلاح لهذه المنطقة خاصة روسيا والصين وكوريا الشمالية وبعض دول أمريكا اللاتينية، للمشاركة معها في الحد من تسليح دول المنطقة خاصة الأسلحة المتقدمة كالصواريخ بعيدة المدى.

كذلك تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية كل ثقلها لإقناع دول كالبـاكستان للتخلي عن برنامجها النووي، وإلا عاقبتها بإيقاف كافة أصناف المساعدات العسكرية أو الاقتصادية، كما تهدد بمعاقبة كل من يساعد باكستان في برنامجها النووي.
ومن وراء ذلك كله منطق أمريكي مقبول هو أن الحـد مـن التسلح، وإيقاف السباق نحو إنتاج أسلحة الدمار الشامل هو أنجع سبيل لإقرار السلام العالمي.
لكن هذا المنطق الأمريكي ينقلب بالنسبة لإسـرائيـل وبكل أسف رأساً على عقب، إذ أن إطلاق كل قدرات إسرائيل نحو التسلح ومضاعفة أمكانياتها لإنتاج أسلحة الدمار الشامل، والسماح لها بالسوبر كمبيوتر، إنما يتم بدعوى تدعيم السلام؟!
يقول ميلهولين مدير معهد مشروع ويسكـونسن للحد من الأسلحة النووية في واشنطن: (إن بيع إسرائيل هذا النوع من التكنولـوجيا المتطورة يجعل من جهود واشنطن لإزالة أسلحة الدمار الشامل من الشرق الأوسـط والعالم عملية أصعب، إن ذلك يدعم الجدل بأن سياستنا منافقة، وإننا انتقائيون فـي دعم عملية منع انتشار الأسلحة، فانتشار الأسلحة جائز عبر أصدقائنا، وطالما نحن راضون عن الذين يقومون بذالك) [الحياة 14/11/93].
ومضى السيد مـيـلـهولين في تصريحاته فاعتبر أن إعطاء إسرائيل السوبر كمبيوتر سيضعف قدرة واشـنـطن على إقناع دول مثل باكستان بالتخلي عن برنامجها النووي، ويعقد جهود إقـنـاع الدول المنتجة لهذه الأسلحة مثل روسيا والصين ودول أوروبا بعدم بيع ما تنتجه، وقال:(إذا كنا نستطيع أن نبيع لإسرائيل، فلماذا لا تبيع الدول الأخرى إلى أصدقائها؟!)
(محمد صلاح الدين) (المدينة 9/6/1414 هـ)

متابعات

لقطات إخبارية

ماذا يعني السلام؟

أ - وساطات أمريكية /إسرائيلية بين الدول العربية!

دينيس روس منسق شؤون الشرق الأوسط فـي وزارة الخارجية الأمريكية تحدث في مؤتمر للصهاينة الأمريكيين في واشنطن عن وساطات لحل الخلافات بين الدول العربية، وقال: »هناك وساطة بين الدول العربية وإسرائيل لكن لا يجب أن يفاجأ أحد إذا بدأت وساطات بين الدول العربية«!.
وقال روس: »بعد 13 سبتمبر (أيلول) يوم التوقـيـع على الاتفاقية الإسرائيلية/ الفلسطينية، تغيرت كل المنطقة، فالشرق الأوسط كما كنا نعرفه انتهى، وبدأ شرق أوسط جديد«.

وأشار روس إلى احتمال إجراء وساطات أمريكية وربـمـا إســـرائيلـية، أو لمنظمات أمريكية يهودية: أولاً لرفع المقاطعة الاقتصادية العربية عن إسرائيل وثانياً »للـتـنـسـيــق« بين الدول العربية لإنهاء خلافاتها بما يخدم »الظروف النفسية الجديدة«.

المجلة 21/11/1993 م، عدد 719

ب- ما نراه هو ليس سوى مقدمة لموجة تتمثل في قيام الدول العربية ببناء تحالفات بينها وبين إسرائيل تستخدمها تلك الدول في صراعاتها وخلافاتها التقليدية المعاصرة بين بعضها البعـــض، كما أن الكثير من الدول العربية تدرك أن مفتاحها إلى واشنطن، موجـــود فـي إسرائيل وبالتالي عليها أن تحسن علاقاتها مع إسرائيل ما أمكن«.

روبرت ستالوف

من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى

الوطن العربي، 19/11/1993 م

ج- لكن إحذر فإن..

25% سـكـــان إسرائيل مرضى نفسانيون، وذلك وفقاً لأحدث تقرير صدر عن وزارة الصحة الإسرائيلية .. التقرير ذكر أيضاً أن 12 % من الأطفال أيضاً مصابون بأمراض نفسية.

(عن جريدة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية)

روز اليوسف، عدد 3414، 1/6/114 هـ

2- روسيا من جديد:

أفادت وكــالــة »فــرانس برس« أن وزير الدفاع البلغاري فالانتين ألكسندروف نقل أمس إلى البرلمان تحذيراً روسياً من خطر بروز أصولية إسلامية في البلقان«.

الحياة، السبت 20/11/1993 م

3- وشهد شاهد:

نقلت الحياة من مـصــدر قريب من وزارة الخارجية الجزائرية أن سيد أحمد غزالي رئيس الوزراء الجزائري الـسـابق وسفير الجزائر في فرنسا سيعود إلى بلاده في غضون عشرة أيام، موضحاً أن استدعاءه كان بطلب من قيادة الجيش التي يبدو أنها انزعجت من تصريحات نسبتها إليه الصحافة الفرنسية وذكر فيها أن90%من الشعب ليسوا مع السلطة الجزائرية .

الحياة، السبت 7/6/1414 هـ

4- قرارات دولية على الورق:

حتى عام 1992 م أصدر مجلس الأمن الدولي 69 قـــــراراً ضد إسرائيل لم ينفذ منها قرارٍ واحد، وخلال 18 شهراً من أزمة البوسنة والهرسك أصدر مجلس الأمن الدولي 63 قراراً دولياً لم ينفذ منها قرارٍ واحد، ومنذ مأساة

كشمير في عام 1947 م حتى الآن صدر في حق أهل كشمير 13 قراراً دولياً ضد الهند لم ينفذ منها قرار واحد... إنها مجرد قرارات على الورق حتى ولو كانت دولية..!!

الدعوة، 20/5/1414 هـ

مـراجـعـات

العقل العربي بين الواقع والأمل.. قراءة في فكر د/ محمد عابد الجابري

عبدالعزيز بن محمد الوهيبي

هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهــض.. عـقـل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته، ومفاهيمه، وتصوراته، ورُآه..؟!

ثم لماذا لم تتطور أدوات المعرفة (مفاهيم، مناهــج، رُؤى..) في الثقافة العربية (الإسلامية) خلال نهضتها في »القرون الوسطى« إلى ما يجعلها قـــادرة على إنجاز نهضة فكرية وعلمية مطردة التقدم، على غرار ما حدث في أوربا ابتداءً مـن القرن الخامس عشر (الميلادي).؟!

تلك هي الإشكالية التي شغلت ذهن المفكر المغربي د/ محـمــد عابد الجابري، ودفعته إلى إصدار دراساته المتنوعة حول كثير من قضايا الفكر الإسلامي الـتـي منها: »نحن والتراث« صدر عام 1980م و »الخطاب العربي المعاصر« صدر عام 1982م و »نـقـد العقل العربي« الذي بدأ صدور أجزائه عام 1986م.

ولعل أهم هذه الدراسات وأكثرها ثراءً، الدراسة الأخيرة التي جاءت في ثلاثة أجزاء، كان الأول منها عن »تكوين العقل العربي« والجزء الثاني عن »بنية العقل العربي« والجزء الثالث عن »العقل السياسي«.

والجزء الأول والثاني، أكثر أهمية في نظري من الجزء الثالث الذي درس نشأة الدولة في الإسلام، وتطورها... وحاول المؤلف فيه إبراز ما أسماه المحددات التي بقيت تحكم هذه الدولة في مختلف مـراحل مسـيرتها الطويـلة هذه المحددات حصرهــا المؤلف من وجهة نظره في ثلاثة جوانب لا تتجاوزها وهـــي: العقيدة، والقبيلة، والغنيمة... وأحسب أنه لايزال في هذا الموضوع العقل السياسي زيـادة لمسـتزيد ولم يكن تناول المؤلف لهذا الموضوع كافياً ولا شافياً.

لاحـظ الجابري، عندما درس »بنية العـقـــل العربــي« أن التصنيف الشائع القديم للعلوم الإسلامية بتقسيمها إلى علوم نقلية وأخرى عـقـلـيـــة، أو علوم دين وعلوم لغة، أو علوم العرب وعلوم العجم، لاحظ أن هذه التصنيفات لا تقوم إلا على اعتبار المظاهر الخارجية وحدها، والتي تذكرنا بالتصنيف القديم

للحيوانات حسب مظاهرها الخارجية وحدها: إلى حيوانات برية ومائية وبرمائية، لكننا بحاجة إلى تصنيف جديد للعلوم الإسلامية كما ظهر التصنيف الجديد للحيوانات إلى فقريات ولا فقريات ؛ الأمر الذي فتح أمام علم البيولوجيا آفاقا جديدة خصبة وعميقةً.
لقد كان عمل الجابري في هذا البحث »نقد العقل العربي« محاولة للكشف عن هذا التصنيف الجديد، محاولة لدراسة البنية الداخلية للفكر الإسلامي، وإعادة التصنيف على أساس لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار سوى البنية الداخلية للمعرفة: آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية.
من هذا المنطلق جاء التقسيم الجديد عند المؤلف للعلوم الإسلامية وتيارات التفكير الإسلامي إلى ثلاثة علوم أساسية هي:
علوم البيان: وتشمل الفقه وأصوله وعلم الكلام وعلوم اللغة.
علوم البرهان: وتشمل الفلسفة وخصوصاً فلسفة أرسطو!
علوم العرفان: وتشمل التشيع والتصوف والفلسفة الإشراقية.
كان الإمام الشافعي هو المؤسس للمنهج في العلوم البيانية، وكتابه »الرسالة« يعتبر »قواعد المنهج« للفكر الإسلامي، كما وضع ديكارت »قواعد المنهج« للفكر الفرنسي والأوروبي الحديث، وقد لخص رحمه الله تلك القواعد بقوله: »ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم: الخبر في الكتاب أو السنة، أو الإجماع، أو القياس (الرسالة: 39) فجهة العلم بناء على هذا النص محصورة في أحد سبيلين: النص (من كتاب أو سنة أو إجماع) أو القياس (الذي هو إلحاق فرع بأصل لاتحادهما في العلة) فقياس التمثيل إذن هو الآلية المفضلة عند الفقهاء، وهو الأسلوب الذي يحكم منهجهم في التفكير.. وعن الفقهاء انتقل المنهج إلى المتكلمين وعلوم النحو والبلاغة مُشَكِّلاً بذلك مدرسة البيانيين.
أما علوم العرفان وهي العلوم التي يقدم فيها العقل استقالته فتبدأ مع بداية الترجمة، عندما أمر خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ) بترجمة كتب الكيمياء، والتنجيم، وكتب الطب اليونانية والقبطية، تلك الكتب التي تقدم رؤية هرمسية غنوصية للكون والإنسان، ثم كان لجابر بن حيان دور في نشر هذه النظرة الهرمسية، وشاركه في مثل هذا الدور الطبيب الرازي، أما في المجال العقائدي فقد كان الشيعة أول من تهرمس في الإسلام، ولم تسلم الجهمية هي الأخرى من هذا التلوث وكذا الصوفية، ثم جاء بعد ذلك دور التيارات الباطنية ممثلة في إخوان الصفا وفلسفة ابن سينا، التي تزعمت التيارات الباطنية الإشراقية، ثم غدت بعد ذلك طابعاً عاماً لكثير من التيارات المنحرفة التي كان مدار التفكير فيها والمنهج المفضل للوصول إلى المعرفة قائماً على أساس الكشف والعرفان والإشراق الذوقي الباطني، وبخلاف كثير من الباحثين يرى المؤلف أن هذا الاتجاه لم يكن رد فعل ضد تشدد الفقهاء، ولا ضد جفاف الاتجاه العقلي عند المتكلمين، كلا، لقد ظهر

هذا النظام قبل أن تتطور تشريعات الفقهاء، ونظريات المتكلمين إلى ما يستوجب قيام رد فعل من هذا القبيل، لقد كان هذا التيار نتيجة لمحاولة عناصر معادية للفكر الإسلامي وللدولة الإسلامية قــادتـــه عناصر من الزنادقة وأتباع الديانات الوثنية ؛ من أجل تقويض البناء الفكري والسياسي للدولة الإسلامية.

هذا عن البيان والـعـرفـــان... أمــا عن البرهان فيذكر المؤلف تبعاً لما يراه المستشرق كارل بروكلمان أن المأمون (198-218 هـ) إنـمـا أمر بترجمة الفلسفة اليونانية لمواجهة العرفان المانوي الغنوصي الذي اعتمده الشيعة والزنـادقـــة لـمواجهة الدولة الإسلامية، لقد كان الكندي (185-252 هـ) هو أول فيلسوف عربي حيث أكــد عـلـى أن الـمعرفة إنما تكون حسية أو عقلية أو إلهية أداتها الرسل المبلغة عن الله، وهو بذلك يرفض العرفان الشيعي الصوفي، ثم جاء بعده الفارابي (260-339 هـ) الذي حاول »الجمع بين الحكيمين«، أرسـطو وأفلاطون محاولا »التوفيق« بين تيارت الفلسفة اليونانية المختلفة، متوصلاً بذلـك إلـى أن العرفان إنما هو ثمرة للبرهان.

لقد بقيت مدرســة بغداد كما يرى المؤلف من المأمون وحتى الخليفة القادر (381-22 هـ) مـركــزاً علمـيـــاً مخلصاً لاستراتيجية المأمون الثقافية القائمة على الارتكاز على أرسـطــو، ومـنـطـقـه وعلومه في الحرب ضد الإسماعيلية العرفانية الهرمسية، ثم تسلم بعد ذلك ابن رشد الراية عـنـهــم، وهو المفكر الذي احتفظ بصورة فلسفة أرسطو نقية كما جاءت عنه، رافضاً إضافات الفارابي وابن سينا إلى هذه الفلسفة.

هكذا تشكلت الدوائر الثلاث البيانية والعرفانية والبرهانية في الفكر الإسلامي، لكنها لم تدم مستقلة بعضها عـــن بـعـــض طــــوال الوقت، لقد حصل تدريجيا تداخل بين هذه التيارات... فلقد حاول ابن سينا تأسيس »العرفان« على »البرهان«، وذلك بالبحث في الفلسفة عن أسانيد للرؤية الهرمسية للكون والإنسان وعلاقتهما بالإله.

كما حاول الغزالي تأسيس »البيان« على »الـعـرفــــان«، وذلك بالتشكيك في كل قيمة للمعرفة الحسية والتجريبية والعقلية، متوصلاً بذلك إلى تفضيل طريقة »الكشف« والإلهام باعتبارها طريق اليقين الوحيد.

بينما حاول ابن حزم تأسيس »البيان« على »البرهان« وذلك برفض قياس الفقهاء التمثيلي، ومحاولة اعتماد البرهان المنطقي الأرسطي المبني على مقدمتين ينتج عنهما نتيجة ضرورية يقينية، وتابعه على ذلك الشاطبي بعض المتابعة في محاولته لتأسيس فقه المقاصد.

أما ابن رشد، فقد سن محاولات الخلط بين هذه الحقول، ورأى أن الشريعة صنو الحكمة وأختها الرضيعة، وأن لا سبيل للبرهنة من أحدهـمــا على الأخرى... وهي نتيجة توصل إليها أبو سليمان المنطقي من قبل، لكن كان لابن رشد فضل بلورتها وتوضيحها.

المؤسف كما يرى الجابري أن محاولة ابن رشد جاءت متأخرة فلم تلق أُذناً صاغية ممن جاء بعده من المفكرين، بل كان النصر »للعقل المستقيل« في الحركة الصوفية والشيعية، كما كان النصر حليفاً لاختلاط الأنهر عند المتكلمين الذي ظهر بظهور الرازي حيث قام تلميذه (الإيجي) بعد ذلك بوضع الصورة النهائية لعلم الكلام في كتابه »المواقف« حيث يختلط فيه »البيان« بـ »البرهان« بـ »العرفان« وبذلك ظهرت أزمة الأسس في الفكر الإسلامي، وتشفي الحقيقة ثم ساد بعد ذلك الجمود والتقليد، وتحريم الاجتهاد والنظر العقلي.

***

هذا عرض سريع لموضوع كتابي »بنية العقل العربي« و »تكوين العقل العربي« نأتي بعده إلى سؤال مهم: تُرَى ما هي المدرسة التي يتبناها الجابري بين هذه المدارس المختلفة، والتي يبشر بها ويدعو إليها؟! ثم ما هو المقياس الذي اعتمده في قبول أو رفض هذه التيارات، وما هي الخلفيات الفكرية والاعتقادية التي كانت تحكم نظرته نحو مختلف المدارس الفكرية..؟!
قبل الشروع في الإجابة على هذه الأسئلة، لابد من الإشارة إلى ظاهرة لا تخفى على القارئ لمختلف الإصدارات التي كتبها الجابري ؛ ألا وهي رغبته الدائمة في عدم الكشف عن توجهاته الفكرية بشكل سافر... اتضح هذا جلياً في حواره مع »حسن حنفي« في كتاب »حوار المشرق والمغرب« حيث سود صفحات في بيان رغبة القراء في كشف القناع عن الخلفيات الأيديولوجية التي تحكم من يقرؤن له، ومع ذلك فلم يحدد توجهاته بوضوح...!!
الذي يظهر لي أن حرص الكاتب على عدم إظهار توجهه الفكري يرجع إلى أحد سببين هما:
*إما أنه لايزال في مرحلة التأمل والبحث والنظر، فلم يحدد بعد توجهاته الفكرية.
*أو أن الباحث يرغب في نشر إنتاجه الفكري بين مختلف الأوساط دون عوائق تصنيفية تلحق به الضرر عند من لا يوافق على توجهه الفكري.
على أي حال، فإنه يمكن من خلال التتبع لمختلف دراساته تَبَيّنَ خطوط رئيسة في خياراته الفكرية نشير إلى شيء منها ها هنا:
بادئ ذي بدء، لا يخفي الكاتب انحيازه للعقلانية حيث يقول:
»... نحن نصدر عن موقف نقدي ينشد التغيير، من التحرك من موقع أيديولوجي واعٍ، أي لابد من الصدور عن موقف تاريخاني (؟)، موقف يطمح ليس فقط في اكتساب معرفة صحيحة بما كان، بل أيضاً إلى المساهمة في صنع ما يتبقى أن يكون، وهو بالنسبة للمجال الذي نتحرك فيه: الدفع بالفكر العربي في اتجاه العقلنة، اتجاه تصفية الحساب مع ركام ولا نقول رواسب اللامعقول في بنيته.

(تكوين العقل العربي: ص 52)... »لأن موضوعنا هو العقل، ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية« (التكوين: ص 7).
تبني العقلانية، والدفاع عنها، والتنويه برموزها كان هدف الجابري الـذي لا يخفيـه في عـامـة دراسـاته التي أصدرها... لكن العقلانيـة بـأي مـعنى..؟!
انه لا يوجــد صراحة من يعلن الحرب على العقل والعقلانية(1) لكن الاختلاف يظهر عندما يتحدد المقصود بالعقلانية... فما هي يا ترى العقلانية التي يدعو إليها الباحث، وينافح عنها..؟
من خلال الرموز الذين دافع عنهم الجابري يمكن تلمس ملامح تلك العقلانية، وسماتها الأساسية.
لقد عرض الباحث فكر أرسطو في »بنية العقل العربي« (ص 384) دون أن يتحفظ على شيء مما جاء فيه، كما اعتبر الفارابي الذي يسمى »المعلم الثاني« اعتبره هو الذي أعاد تأسيس العقلانية في الإســلام ؛ نـظـــراً لكونه أول من درس المنطق الصوري كاملاً، وقد تغافل الباحـث عن الجـوانب الغنوصية في فكره ولم يعطها وزنها الذي تستحقه، نظراً لأنه كما يقول جعل »العرفان« ينتج عن »البرهان«، كما تبنى هجوم ابن حزم على القياس باعتباره منهجاً في البحث لا يفضي إلى اليقين، واعتبر المنهجية الظاهرية الحزمية في الأصول أمتن من منهجية البيانيين وأقوم، وكذا أعجب بمنهجية الشاطبي في الموافقات، حيث بنى الأصول على المقاصد التي تعرف باستقراء أدلة الشرع...
لكن الشخصية الإسلامية التي تحتل قيمة لا منازع لها عند الجابري هي شخصية ابن رشد... إن الخطاب الرشدي يبنى كله على النظر إلى الدين والفلسفة كبناءين مستقلين، يجب أن يبحث عن الصدق فيهما داخل كل منهما وليس خارجه، والصدق المطلوب هو صدق الاستدلال، وليس صدق المقدمات، ذلك أن المقدمات في الدين كما في الفلسفة، أصول موضوعة يجب التسليم بها دون برهان: فإذا كانت الصنائع البرهانية، في مبادئها المصادرات والأصول الموضوعة، فكم بالحري أن يكون ذلك في الشرائع المأخوذة من الوحي والعقل. (تهافت التهافت 2/869)، ولذلك »فإن الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدال في مبادئ الشرائع، وذلك أنه لما كانت لكل صناعة مبادئ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم لمبادئها، ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال ؛ كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك...« (التهافت 2/791).
علامَ تدل هذه الكلمات؟! اعتبار الشريعة نسقاً مغلقاً لا يمكن الاستدلال عليه من خارجه؛ ألا يعني هذا أن الدين تسليم دون استدلال؟! وإذا صح هذا فكيف يمكن التمييز بين الدين الصحيح والزائف؟! ألا تحمل هذه الكلمات بذوراً علمانية خطيرة؟!

يعلق الجابري على منهج ابن رشـــد بقوله: »كانت الرشدية قادرة على طرق آفاق جديدة تماماً، وهذا ما حدث بالفعل، ولكن في أوروبا حيث انتقلت وليس في العالم العربي حيث اختنقت في مهدها، ولم يتردد لصيحتها الأولى صيحة الميلاد أي صدى إلى اليوم..« بنية العقل العربي: ص 323) أي صدى تـردد فـي أوروبـا، إنه الصدى الذي تبنى العلمانية منهاجاً، وجعل من الدين مواضعات اجتماعية وأخلاقية خاصة، فمن تبنى العلمانيـة منهاجاً وجعل من الدين مواضعات اجتماعية وأخلاقية خاصة، فمن شاء أن يلتزم بها فله ذلك ومن لم يشأ فلا جناح عليه!! أما أن يتدخل الديـن فـي صـياغـة المنهج السياسي أو الاقتصادي، أو العلاقات الخارجية، فكـلا، ليس ذلك للدين وإنما هـــو للعـقــل البشري المجرد..!!
هـل يـريـد الجـابــري هذه النتيجة..؟! من العدل أن نقول إنه لم يصرح بهذا في هـــذه الكتب... لكن القارئ بسوء نية يمكنه أن يفهم ذلك.**

ملاحظات ومراجعات:

رغم الجهد الضخم الذي بذله الجابري في إعداد هذا المشروع الفكري مستفيداً في ذلك ممن سبقه من الباحثين، مسلمين كانوا أو مستشرقين أو ماركسيين..الخ ؛ فإن المرء لا يسعه إلا أن يتبنى موقفاً مغايراً لما تبناه المؤلف في كثير من المواضع في تلك الكتابات، نقف في هذا العرض عند بعض منها:

*من الملفت للنظر في هذا المشروع النقدي، أنه في غمرة حماسته للفلسفة الأرسطية، قد غض الطرف عن النقد الجوهري المتين الموجه قديماً وحديثاً لهذه الفلسفة، سواء أكان ذلك في المنطق الذي يحكمها أو في النتائج والرؤية التي تنتج عنها، حتى أن العلم الحديث لم يتمكن من تحقيق فتوحاته العظيمة حتى تحرر من أسرها، والمؤلف خبير بالمنهج العلمي الحديث في البحث والتفكير، حيث وضع فيه كتاباً في جزأين تحت عنوان »فلسفة العلوم«، ظهر له من خلالهما البون الشاسع بين التفكير العلمي الحديث والمنهج الأرسطي القاصر فلماذا يا تُرَى جعل الباحث المنهج الأرسطي معياراً للحكم على فكر هذا العالم أو ذاك بالتقدم أو التخلف، بالعقلانية أو عدمها؟! حقيقةً.. لا يظهر لي سبب واضح وراء هذه الحماسة والاندفاع.

*رغم أن الجابري لم يبد عـــداءً نحو منهج البيانيين (فقهاء وأصوليين ولغويين) فهو في ذات الوقت لم يحدد موقفاً واضـحـــاً من القضايا التي أثاروها ولم يبد انحيازاً مع تلك الطروحات أو ضدها، وهو موقف غريـب غـيــر مـبـرر. ومن المسائل ذات الدلالة في هذا الموضوع أن ابن تيمية رغم مساهمته الثرية والعميقة في كل القضايا التي أثارها المؤلف في كتاباته، لم يلق أي اهتمام يستحق الذكر مقارنةً بغيره من الشخصيات التي برزت في علم الأصول أو علم الكلام أو الفلسفة... الخ.

ورغم عدم تحيزنا للأشخاص، فإنه يمكن اعتبار هذه الظاهرة ذات دلالة لا تخفى، حيث أن ابن تيمية يشكل ربما الصورة الأخرى لابن رشد... فرغم اطلاعه الواسع على الفلسفة بمختلف تياراتها، ودخوله في جدل عميق مع مختلف طروحاتها، إلا أنه ظل على إيمان عميق لا يتزعزع بأن العقل لا يعارض النقل ولا يُضادّه، وأن أكمل مناهج التفكير العقلي، إنما هي تلك التي دعى إليها النقل وحث عليها.
فهو بخلاف ابن رشد يؤمن بأن مبادئ الشرائع يمكن فحصها والاستدلال لها بالعقل، كما أن مقدمات الفلسفة هي الأخرى تخضع للفحص العقلي والنقلي ؛ وذلك هو الموقف العلمي الصحيح، وإلا كيف لمسلم أن يتورط بالقول بأزلية العالم؟، وذلك مخالف لمسلمة قطعية من مسلمات الدين وهي الاعتقاد بأن هذا العالم مخلوق بعد أن لم يكن؟!
كيف لمفكر يحترم نفسه أن يسلم بالرؤية الفلكية الأرسطية، ويبقى في ذات الوقت محترماً للنص الشرعي مؤمناً بما فيه، بحجة أن هذه مقدمة فلسفية وتلك مقدمة كلامية شرعية؟!
أليس في ذلك تغييباً مقصوداً للوعي؟! وعودة لا تخفى إلى التناقض؟!
*أشار المؤلف إلى أن منهجية البيانيين المفضلة هي الاستدلال بالشاهد على الغائب، وهي دعوى غير مسلم بها، فلقد كان للأصوليين المتقدمين كـلام فـي الاستحـســان، والمصالح، والاستقراء، والاستنباط، وهي طرائق في الفهم والاستدلال مغايرة لقياس الشــاهـــد على الغائب.
كما أن للعلماء المسلمين في مجال العلوم الطبيعية، منهجاً تجريبيا متقدماً حتى إن المسلمين يعتبرون بحق وبشهادة الباحثين الغربيين أنفسهم سبّاقين إلى اكتشاف المنهج التجريبي، وعنهم أخذته أوروبا في عصر النهضة، وهي قضية لم يعطها الكاتب حقها من الاهتمام والتقدير الكافيين.
هذه مسألة... والمسألة الأخرى في هذا الصدد حول قيمة المنهج في الوصول إلى الحقيقة... إن التقدم العلمي الهائل الذي تشهده العلوم التجريبية المعاصرة، ليس في الحقيقة ناتجاً عن تقدم المنهج إطلاقاً... إنما هو في الواقع ناتج عن الإمكانات الهائلة التي أودعها الله في هذا الكون... إنها عظمة الله تتبدى في عظمة خلقه، وليس ذلك ناجماً عن عظمة المناهج البشرية إن العلم يكتشف الطبيعة (الخلق) وقوانينها (السنن) ولا يخلقها من عدم... بل إن لـبـعــض عـلـماء الفيزياء المرموقين المعاصرين وهو بول ديفيس البريطاني كتاباً سماه »ضــد الطريقة - Against Method« يذكر فيه أن الـمـنهج لم يكن في يوم من الأيام رائداً للبحث العلمي، بل كان دوماً متخلفاً وتابعاً للبحث العلمي!!
فالدور الضخم الذي يعطيه الجابري للمنهج يحتاج إلى مراجعة وتدقيق.
*في حديث المؤلف عن مرحلة التدوين في العصر العباسي، أشار إلى ما كتبه ابن المقفع في رسالته التي سماها »رسالة الصحابة« حيث يرى فيها كما يرى

محمد أركون إنها ذات نفس علـمـانـــي واضح...! وحجتهم الوحيدة على ذلك: هو أنه لم يستشهد في هذه الرسالة بالقرآن، ولا بالحديث ولا بأي عنصر آخر من الموروث الإسلامي..! والحقيقة أن القارئ لهذه الرسالة لا يجد ذلك النفس العلماني المزعوم، وإنما غرض ابن المقفع الدعوة لتنظيم الدولة، وتوحيد القضاء، منعاً للاختلاط والاضطراب، وذلك باستخدام سلطة الخليفة دون أي دعوة ظاهرة أو خفية إلى تنحية الشريعة، أو تقديم بديل عنها، وهو مطلب لا يوجد أي غبار عليه، ولا يعتبر مطعناً في صاحبه!.

*يركز الجابري في دراساته المختلفة على البعد العربي لمناهج التفكير والمدارس التي يحلل إنتاجها، وهو بعد ليس له مبرر، ذلك أن هذا التراث شاركت في بنائه وتكوينه عـقـــول مختلفة من شتى الشعوب الإسلامية، ولم ينفرد العرب في تكوينه ولا تدوينه، وإنما هـــو ثمرة لتضافر جهود آلاف من الباحثين المسلمين في شتى التخصصات، فلعل الكاتب خشي من سوء الفهم عند نقد العقل المسلم، إذ يفـهـم بعـضـهـم ذلك بأنه نقد »للمنهج الإسلامي« وليس لمناهج »المفكرين المسلمين« والفرق بعيد بين الأمرين.

ورغم وجاهة هذا الاحتمال، فإنه لا يكفي مبرراً لإضفاء صـفـــة »قـــومـيـــة« على التراث الإسلامي، ويمكن تلافي مثل هذه المخاطر بالتنبيه عليها في مطلع أو خاتمة مـثـل هــذه الدراسة.

*وأخيراً... رغم النجاح الواضح الذي حالف المؤلف في تعرية تيارات الغنوص، والعرفان الرافضي والباطني والفلسفي والصوفي، وكذلك في الكشف عن مناطق الضعف والخلل عند بعض التيارات الأخرى، إلا أنه في ذات الوقت لم يبلور للقارئ الملامح النهائية للمشروع النهضوي المنشود الذي تتبناه هذه الدراسة وتدعو إليه... فظاهر أن المؤلف لا يقف موقف الموتور المعادي للموروث الإسلامي، لكنه في ذات الوقت لم يبشر به، ويعتبره المخرج مما نعانيه من أزمة على شتى الصُعُد..

إن الحلول التي قدمها المؤلف في نهاية كتابه عن العقل السياسي وهي:

»1- تحويل القبيلة: إلى تنظيم مدني سيـاسي اجتماعي: لأحـزاب أونقابات... الخ، وفتح الباب لقيام مجال سياسي حقيقي، تمارس فيه السياسة ويصل بين سلطة الحاكم وامتثال المحكوم.

2- تحويل الغنيمة: إلى اقتصاد ضـــريبة في إطار اقتصادي إقليمي جهدي وفي إطار سوق عربية مشتركة تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية عربية تنموية.

3- تحويل العقيدة: إلى مجال يسمح بحرية التفكير وحق الاختلاف والتحرر من سلطة الجماعة المغلقة والتحرر من سلطة عقل الطائفة والتعامل مع عقل اجتهادي نقدي« (العقل السياسي: ص 37).

هذه الحلول لا تمثل برنامجاً كافياً مبلوراً للخروج من أزمة التخلف والتبعية والتشرذم... ولذلك فإنني أدعو الباحث وغـيـــره من الجادين في الرغبة بنهوض هذه الأمة، ومحاولة استـئـنـاف مســـيـرتهـــا القـيـادية لذاتها وللناس

أدعوهم إلى مراجعة موقفهم من الحل الإسلامي، واتخاذ موقف أكثر علمية من الموقف الهلامي الذي يتخذه كثير منهم... لابد لهم لكي يكونوا واقعيين مع أنفسهم أن ينحازوا للخيار الذي لا تقبل الأمة عنه بديلاً... ألا وهو رفع شعار الحل الإسلامي، والتبشير به والدعوة إليه والسير الحثيث والـفـعـلـي لإنجازه... ((عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)) (المائدة:25) ... ((صـبـغـة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عـابـدون)) (البقرة:138)... ((ملة أبيكم إبراهيم هو سـماكم المسـلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسـول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس)) (الحج:78).
والحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

(1)مما يؤسـف له حقاً أن من بين المتمسكين بالنص في الإسلام من يتصور أن الإسلام ضـد العقلانـيـة، وأن مقتضى الوفاء للنص يعني الحرب والعداء للعقل، ولذلك يصفون المخالفين لهـم »بالعقلانيين«، وهذا خطأ مركب، فعلماء السلف لم يكونوا يسمون أهل البـدع إلا بأهـل »الأهـواء« لا أهل العقـول، ولم يكونوا يحـاربون العقل أبداً كيف والله تعالى يبين في كـتـابه الكريم أن هلاك الهالكين إنما كان بسبب ترك النص والعقل ((وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير))، وهذه العجالة لا تكفي لتوفية هذا الموضوع حقه.
** وفي رأينا أن ذلك الرأي ليس لسيء النية فقط وإنما يفهمه أيضاً حسن النية.
- البيان -

في دائرة الضوء

قـراءة نقـديـة لمفهـوم "تصادم الحضارات"«

د. أحمد محمد العيسى

مـقـدمـة:

إن الحديث عن العلاقة بين العالم الإسـلامـي والـغـرب، يعتبر من أكثر المواضيع التي احتلت حيزاً واسعاً في أدبيات الفكر الإسلامي الحديث، وذلك بسبب أن تلك العلاقة قد أخذت بعداً جديداً منذ أن استيقظت بلاد المسلمين على صـيـحـات جنود نابليون الذين عادوا إلى الشرق عام 1798م، بعد انقضاء فترة ليست طويلة حضارياً على نهاية الحملات الصليبية.

وقد أخذت العلاقة بعد تلك الحملة تتعقد كثيراً ؛ لأن أهداف الحـمـلــة وما جاء بعدها حتى انتهت بالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين قد تغيرت كثيراً عن أهــداف الحـمـلات الصليبية التي كانت تهدف إلى »استعادة الأراضي المقدسة« من المسلمين، لكن أهداف حملة نابـلـيـون، ثم الاسـتـعـمـار من بعده نقل الصراع من صراع عسكري إلى صراع فكري ثقافي عسكري اقتصادي...، ولم تـكـتــف تلك الحملات بالسيطرة المطلقة على مقدرات الشعوب الإسلامية، بل اهتمت بزعزعة عقـائــد المسلمين، وتبديل أخلاقهم وربط مصيرهم بالفكر الغربي، الذي بدأ يقوده في تلك الفترة مجـمـوعــة مــن الـمستغربين أمثال: رفاعة رافع الطهطاوي، ثم سلامة موسى، وطه حسين، ولطفي السيد، وأدباء المهجر، وغيرهم ؛ لهذا فإن هناك تفسيران لتأثير حملة نابليون على »الشرق الإسلامي«.
الأول: أن هذه الحملة هي بداية ما سمي التنوير، والعلم، والثقافة واللحاق بركب التقدم والحضارة، وهذا هو التفسير العلماني للعلاقة الحضارية بين العالم الإسلامي والغربي.
الثاني: هو أنها بداية حركة التغريب، والاستلاب الحضاري، وضياع هوية الأمة، وهذا هو التفسير الإسلامي لتلك الحملة.
ونتيجة لهذين التفسيرين انتقل الصراع الحضاري جزئياً إلى داخل العالم الإسلامي، بين ممثلين عن الغرب يتحدثون من منطلقاته وأهدافه، وبين المؤمنين بالتميز الحضاري والعودة إلى جذور الأمة وأصولها لبناء الأسس العقائدية والأخلاقية والفكرية، ثم الانطلاق للتنافس عالمياً مع حضارات سادت قيمها ومنظومتها الحضارية، حتى كادت أن تزيل الحضارات الأخرى من الوجود.
وبعد صراعات عديدة في الداخل والخارج، أخذت أشكالاً مـتـعــددة سقطت الأيديلوجية الشيوعية، وظـن الكثيرون أن آخر القلاع التي تقف في مواجهة الحـضــارة الغربية بكل قيمها وأنظمتها قد سقطت، وتوقعوا أن القيم الغربية لن تجد عوائق جديــدة تحول دون انتشارها ودون تداعي الشعوب والأمم عليها، فبعيد الأحداث »الدرامية« التي كانت تسجل سقوط الشيوعية ظهرت كتابات وطروحات عديدة مثل »طروحات فوكاياما«، تؤكد على أن الحضارة الغربية سوف تكتسح العالم لتسجل في زعمه »نهاية التاريخ«.
ولكن هذا التفاؤل، وهذه الأفكار اتضحت سذاجتها بعد مرور وقت قصير، حـيـن تبين أن هناك عوائق وعوامل أكثر تجذراً وثباتاً من الأفكار الأيديلوجية أو الصراعات الاقتصادية والسياسية، بل لقد اتضح أن نهاية الحرب الباردة قد أبرزت هذه العوامل وساعدتها على التجذر والرسوخ، بعد أن سقط وهم القوتين العظميين، ووهم الجبهة الشرقية والجـبـهــة الـغـربية، ووهم عدم الانحياز، وهذه العوامل أو العوائق التي نشير إليها، هي خصائص الحضارات، ومقوماتها الداخلية، ومن أهمها: الدين، واللغة، والتاريخ وهذا يجعل من

الصعــوبـة القضاء عليها، بل إنها تقوى عندما تشعر الشعوب أن حضارتها التي تنتسب إليها تتعرض لخطر خارجي كبير.
إذن: تـهـــاوت فكرة (فوكاياما نهاية التاريخ)، وبرزت فكرة (صامويل هنجتون تصادم الحضارات)، التي تقـــول: إن الصراع في المستقبل، سيكون بين الحضارات الرئيسة في العالم المعاصر، و »صامويل هنجتون« هو أستاذ علم الحكومة ومدير معهد (أولين) للدراسات الاستراتيجية بجامعة »هــارفـــرد« في الولايات المتحدة، وقد نشرت أفكاره حول (تصادم الحضارات) في العديد من الصحـــف والمجلات الغربية، وكان مقاله الرئيس قد نشر في مجلة »الشؤون« المتخصصة في الشؤون السياسية والدراسات الاستراتيجية في عددها (صيف 1993)، وهذا المقال الذي سيكون (بإذن الله) مجال قراءتنا هذه، هو نتاج لدراسة خاصة بالمعهد الذي يديره (هنجتون) حول »الظروف الأمنية المتغيرة والمصالح القومية الأمريكية«.

أهمية الدراسة:

هناك بعض العوامل التي تعطي هذه الدراسة أهمية كبيرة في مجال العلاقات الدولية ومستقبل العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ومنها:
1- يعتبر كاتب المقال (أو الدراسة بتعبير أصح) ذو مكانة علمية مرموقة في الدراسات الاستراتيجية ؛ إذ أنه يرأس معهداً مهماً وفي جامعة مشهورة عالمياً، فهو إذن ليس صحفياً يهتم برصد الأخبار اليومية والمناسبات الإعلامية، كما أن الدراسة في جوهرها نتاج مشروع عن التغيرات الأمنية ومصالح الولايات المتحدة، ومعظم هذه الدراسات تدعمها الحكومة الأمريكية ومراكز الدراسات الاستراتيجية، وهدفها تقديم مقترحات وتصورات حول القضايا الشائكة للحكومة الأمريكية، يتم تنفيذها كسياسة مستقبلية للولايات المتحدة، ولعل من أهم ما جاء في هذه الدراسة، التوصيات التي ذكرها الباحث في نهاية بحثه لأصحاب القرار في السياسة الغربية والتي سنشير إليها في مكان آخر من هذا المقال.
2- إن الحديث عن الصراع بين الحضارات ليس جديداً في أدبيات الأمم وخاصة الأمة الإسلامية، فكثيراً ما طرق هذا الموضوع بعض المفكرين الإسلاميين أمثال سيد قطب رحمه الله ومحمد قطب، وأبو الأعلى المودودي، ومالك بن نبي، وأبو الحسن الندوي وغيرهم من المفكرين الذين كتبوا عن الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، كما أن كثيراً من المفكرين الغربيين كتبوا حول هذا الموضوع مثل أرنولدتوينبي، وول ديورانت وغيرهم كثيرون، وقد أشار الكاتب نفسه إلى هذه الحقيقة عندما قال: »وعند كلا الجانبين: فإن التفاعل بين الإسلام والغرب يُرى على أنه صدام بين الحضارات«، إذن الفكرة ليست جديدة، ولكن الذي يعطيها أهمية خاصة هو التوقيت الزمني لطرحها بهذا التفصيل والزخم الإعلامي الذي روج لها.

إن الفترة التي أعقبت سقوط الشيوعية شهدت أحداثاً عالمية مهمة مثل (حرب الخليج الحرب في البوسنة والهرسك الحروب التي نشبت داخل جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق التكتلات الاقتصادية الجديدة)، وهذه الأحداث أكدت أن أسباب الخلافات هي أكثر عمقاً من المصالح السياسية أو الاقتصادية التي كان يُعتقد أنها السبب في نشر تلك الأحداث، كما أكدت للمفكرين الساسيين الغربيين أن إقامة (النظام العالمي الجديد) على القيم والمبادئ الغربية، سوف يقابل برفض كبير من الشعوب الأخرى التي تعتز وتحافظ على مقومات حضارتها الخاصة، وهذا قد سبب صدمة لدى هؤلاء المفكرين، جعلهم يعيدون طرح مسألة (تصادم الحضارات) كحقيقة سوف تبرز كثيراً في المستقبل القريب.
3- إنه لأول مرة في ما أظن يقوم مفكر سياسي غربي بتوضيح جملة من الحقائق بوضوح تام وبعبارات سهلة، والتي طالما غُيبت في دهاليز العبارات السياسية الفضفاضة والمقالات الأيديلوجية الموجهة لخدمة مصالح الطبقات ذات النفوذ في السياسة الغربية، ومن هذه الحقائق التي وردت في دراسة (هنجتون) ما يلي:
أ - إن الدين هو أهم العوامل التي تميز بين الحضارات، وهو العامل الأهم في صراعات المستقبل.
ب - إن القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن وعن صندوق النقد الدولي، إنما تعكس مصالح الغرب، وهي تخرج إلى العالم على أساس أنها تعبر عن رغبات »المجتمع الدولي«، كما أن مصطلح »المجتمع الدولي« هوالوجه الآخر لمصطلح »العالم الحر« ويستخدم لإعطاء الشرعية العالمية للقرارات التي تعكس رغبات ومصالح الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى.
جـ - مصطلح »الحضارات العالمية« هو فكرة غربية بحتة، هدفها إبراز أن القيم الغربية هي قيم عالمية يجب على كل الشعوب الأخذ بها والحقيقة أن أحد الباحثين قد توصل بعد مراجعة أكثر من 100 بحث مقارن للقيم في العالم، إلى نتيجة أن »القيم التي تعتبر أكثر أهمية في الغرب هي أقل أهمية في العالم أجمع«.
د - الحكومات الديمقراطية الحديثة كان منشؤها في الغرب، وأنها إذا وجدت في غير المجتمعات الغربية فهي قد نتجت عن الاستعمار والفرض بالقوة من جانب الغرب.
هـ - الهدف الأساسي من عملية التحكم في التسلح في فترة ما بعد الحرب الباردة: هو منع الدول غير الغربية من تطوير القدرات العسكرية التي قد تهدد مصالح الغرب.

بعض الأفكار المهمة في الدراسة:

لقد وردت في دراسة (صامويل هنجتون) العديد من الأفكار الهامة التي يمكن ترتيبها في عدة نقاط حـتـى يـتـمـكـن القارئ من معرفة أهم طروحات الكاتب في مجال (تـصـــادم الحضارات):
1- يعبر الكاتب عن الفكرة الرئيسية من الدراسة في المقدمة: وهي أن المصدر الأساسي للصراع في العالم الجديد لن يكون أيديلوجياً أو اقتصادياً وإنما صراعاً حضارياً، »سوف تحدث الصراعات الرئيسة في السياسة العالمية بين المجموعات والدول من حضارات مختلفة، وإن الخطوط المتصدعة بين الحضارات سوف تكون خطوط المعارك في المستقبل...«.
2- الهوية الحضارية سوف تحظى بأهمية متزايدة في المستقبل، وسوف يتشكل العالم عن طريق التفاعل بين سبع أو ثمان حضارات عالمية هي: الغربية، الكنفوشوسية، اليابانية، الإسلامية، الهندية، الأرثوذكسية السلافية، الأمريكية الجنوبية، وربما الإفريقية، وإن أهم صراعات المستقبل سوف تحدث على طول الخطوط التي تفصل بين هذه الحضارات للأسباب التالية:
الأول: أن الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات جوهرية، وذلك لاختلاف التاريخ، واللغة، والـثـقـافـــة، والتراث، وأهم من ذلك لاختلاف الدين، وأن الناس من مختلف الحضارات، يملكون نظرات مختلفة للعلاقة بين الإنسان والله وبين الفرد والجماعة، وبين المواطن والدولة، وبين الأطفال والآباء، و بين الزوج والـزوجــة، ويملكون نظرات مختلفة حول الحقوق والواجبات، والحرية والمسئولية والمـســاواة والطبقية وهذه الاختلافات هي نتاج قرون من الزمــــن وهي اخـتـلافــات أصـيـلـة إلى حد بعيد أكثر من الاختلافات بين الإيديلوجيات والأنظمة السياسية.
الثاني: أصـبـح الـعـــالم الآن مكاناً صغيراً، والتفاعلات بين الناس من مختلف الحضارات تزداد يوماً بعد يوم، وهـــذه الـتـفـــاعلات تكثف الوعي الحضاري والمعرفة بالفروق بين الحضارات، والأمور المشتركة داخل كل حضارة، وقد ولدت الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا: الشعور بالعداء لدى الفرنسيين، وفي نفس الوقت زادت من قبول الهجرة إلى فرنسا من البولنديين الكاثوليك، وكان رد الفعل لدى الأمريكيين أكثر سلبية للاستثمار الياباني، مقارنة بالاستثمار الكبير من أوربا وكندا.
الثالث: لقد أثر التطور الاقتصادي، والتغيير الاجتماعي، في كثير من الـــدول إلى إضعاف أن تكون الدولة الواحدة هي مصدر الهوية ؛ولهذا تحركت كثير من الديانات العالمية لسد الفراغ، وجاء هذا في شكل حركات تُدعى الآن بـ »الأصولية«، ويشكل الـشــبــاب المتعلم في الجامعات والفنيين من الطبقات الوسطى والمهنيين ورجال الأعمال الأشخاص النشطين في الحركات الأصولية، وكما قال (جورج ويجل): »إن رفض علمانية العالم هي واحـــــدة من أكبر الحقائق الاجتماعية التي تسيطر على الحياة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن العشرين«.

الرابع: إن نماء الوعي الحضاري قد ازداد بسبب الدور المزدوج للغرب فمن جهة يعتبر الغرب حالياً في القمة من ناحية القوة العسكرية، ومن جهة أخرى فإن ظاهرة العودة إلى الجذور تحدث بشكل أكبر في المجتمعات غير الغربية، »إن غرباً في القمة من ناحية القوة يواجه عالماً غير غربي يملك الرغبة والإرادة والإمكانات لتشكيل العالم بطرق غير غربية ..«، لقد كانت النخب في المجتمعات غير الغربية تتكون من الأشخـاص الذين تعلموا في جامعات الغرب، وتشربوا المواقف والقيم الغربية، وفي نفس الوقت كـان العامة يحتفظون بعمق الثقافات المحلية أما الآن فقد انعكست العلاقة حيث أصـبحـت النخب تتشكل من الأشخاص الذين رفضوا التأثر بالثقافة الغربية، وفـي الـوقـت نفسه بدأت الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية تصبح مشهورة على مستوى الجمهور العريض في تلك الشعوب.

الخامس: إن خصائص الحضارات واخـتـلافاتـهـا هي أقل تحولاً وتقلباً كما أنها لا تقبل الحلول الوسط والتسويات بسهولة، بعكس خصائص الاقتصاد والسياسة: فمثلاً في الاتحاد السوفيتي السابق يمكن أن يصبح الشيوعي »ديمقراطياً«، والغني فقيراً، والفقير غنياً، ولكن الروسي لا يمكن أن يصبح أستونياً، والأذاري لا يمكن أن يصبح أرمينياً، ففي الصراعات الأيديلوجية والطبقية يـكـــون الـســـؤال الرئيس هو: (مع أي الجهات تقف؟)، أما في الصراعات الحضارية فيصبح السؤال هو: (من أنت؟). »وكما نعلم من البوسنة إلى القوقاز، إلى السودان: فإن الإجابة الخاطئة على ذلك السؤال قد تعني رصاصة في الرأس«.

السادس: إن »أقلمة« الاقتصاد تزداد يوماً بعد يوم، فالكتل الاقتصادية الإقليمية سوف تزداد على مـــا يـبـدو في المستقبل، وإن »أقلمة« الاقتصاد سوف تنجح فقط عندما تمتد جذووها في حضارة واحـــــــدة، إن المجموعة الأوربية تكون سعيدة وهي تعمل ضمن قاعدة ثقافية متجانسة من ناحية اللغة والدين النصراني الغربي، وإن نجاح منطقة التجارة الحرة في أمريكا الشمالية ســـوف تعتمد على التقارب بين الثقافة الأمريكية الكندية وبين الثقافة المكسيكية، أما اليابان فإنها تواجه صعوبات في إيجاد كيان اقتصادي في شرق آسيا لأن اليابان تتكون من وحدة حضارية فريدة.

3- الصراعات العسكرية التي استمرت عدة قرون بين الحـضـــــــارة الغربية والحضارة الإسلامية سوف تستمر في المستقبل، وربما تكون أكثر قساوة وإن العلاقات بين الحضارتين سوف تتعقد أكثر بسبب التركيبة السكانية. إن الازديـــاد الهائل في نمو السكان في الدول العربية وخاصة في الشمال الأفريقي، أدى إلى زيادة الهجرة إلى أوربا الغربية، مما أدى إلى زيادة العنف والعنصرية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا ضد المهاجرين العرب والأتراك، وتواجه حدود الإسلام الأخرى حـــروباً طـاحـنــة: ففي الجنوب هناك الحروب بين المسلمين والنصارى في جنوب السودان والقرن الإفريـقـي ونيجيريا، وفي

الشمال هناك الصراع بين المسـلـمـيــن والارثـوذكــس ويتمثل في الحرب بين الصرب والمسلمين، والعنف المتزايد بين أرمينيا وأذربيجان، والحروب الأخرى التي تهدد مصالح روسيا في القوقاز وآسيا الوسطى، وفي الشرق هناك النزاع بين باكستان والهند وبين المسلمين والبوذيين في بورمــا، وبـيــن المسلمين والكاثوليك في الفلبين، »إن الإسلام يملك حدوداً دموية..«.

4- سوف يحصل في المستقبل نوع من التضامن داخل الحضارات وذلك حين تدخل بعض الجماعات أو الدول في حروب مع جماعات من حضارات مختلفة، مما يعني طلب الدعم من الأعضاء الآخرين في الحضارة، ولقد حــل التشابه الحضاري محل التوازن التقليدي والتحالف بين الأيديلوجيات السياسية كقاعــدة أساسية للتعاون والتحالف، ومن الأمثلة على ذلك: الحروب في البلقان، حيث قدمت المجـمـوعـــــة الأوربية مساعدات عاجلة واعتراف بكرواتيا وسلوفينيا الكاثوليكية، كما أن روسيا تقـوم بدعم الأرثوذكس الصرب، ويحاول المسلمون الحصول على الدعم من الدول الإسلامية، ومن الأمثلة أيضاً ما يحدث من حروب كثيرة بين المسلمين والنصارى في أماكن مختلفة من الاتحاد السوفيتي السابق، وبعض الحروب بين النصارى الغربيين وبين النصارى الأرثوذكس في جمهوريات البلطيق، إلا أننا لا نجد أن هناك صراعات بين الروس والأوكرانيين لأنـهــم يـنـتـمـون إلى حضارة واحدة.

5- يعيش الغرب حالياً في القمة من ناحية القوة العسكرية والاقتصادية مقارنة بالحضارات الأخرى، والغرب يسيطر على المؤسسات السياسية والأمنية الدولية، ومع اليابان بالنسبة للمؤسسات الاقـتـصــــادية الدولية ولهذا فإن الكفاح من أجل الحصول على مصادر القوة العسكرية والاقتصادية والـمـؤســسـاتـيـة هــو واحد من مصادر الصراع بين الغرب وبقية الحضارات كما أن الاختلافات في الثقافة وفي القيم الأساسية تكون المصدر الثاني للصراع، ولذلك فإن محاولة الغرب لاستخدام قوته للعمل الدعائي للأفكار الغربية سوف تقابل برد فعل ضد (إمبريالية حقوق الإنسان)، وسيزيد هذا العمل من التثبت بالقيم المحلية، ويمكن ملاحظة ذلك في الدعم الذي تتلقاه الحركات (الأصولية الدينية) من الأجيال الشابة في الثقافات غير الغربية.

6- سوف تظهر في المستقبل بعض الدول التي لديها مقدارٌ من التجانس الثقافي، ولكنها منقسمة حول ما إذا كان مجتمعها ينتسب إلى هذه الحضارة أم تلك، ويمكن تسمية هذه الدول بـ »الدول الممزقة«، والتي يتمنى زعماؤها الانضمام إلى الدول الغربية، ولكن التاريخ والثقافة والتراث في تلك الدول ليس غربياً، وأوضح الأمثلة على ذلك تركيا التي حاول (أتاتورك) أن يجعلها دولة غربية علمانية حديثة، وقد انضمت إلى دول حلف (الناتو) وتقدمت إلى عضوية المجموعة الأوربية ولكن الشعوب الأوربية رفضت أن تقبلها دولة غربية، وبالتالي رُفض انضمامها للمجموعة الأوربية.

7- إن العقبات أمام الدول غير الغربية للالتحاق بالغرب تختلف بدرجة كبيرة ؛ إذ أنها أقل بالنسبة لدول شرق أوربا وأمريكا اللاتينية، وهي عقبات كبيرة للدول الأرثوذكسية في الاتحاد السوفيتي السابق، وهي عقبات أعظم أمام المجتمعات الإسلامية، والكنفوشوسية، والهندية والبوذية، وتلك المجتمعات تحاول تطوير قدراتها العسكرية والسياسية والاقتصادية بعيداً عن النموذج الغربي، ولكن عن طريق التطوير الداخلي، والتعاون مع مجتمعات أخرى غير غربية، وإن أقرب شكل لهذا التعاون هو الاتصال (الإسلامي/ الكنفوشيوسي)، الذي بدأ يتشكل لتحدي القوة والقيم والمصالح الغربية.

وبدون استثناء فإن الدول الغربية وروسيا تخفض الآن من قوتها العسكرية، ولكن الصين وكوريا الشمالية والعديد من دول منطقة الشرق الأوسط قد زادت من قدراتها العسكرية بدرجة كبيرة.

إن الصراع بين الغرب وتحالف (الإسلامية/الكنفوشوسية) سوف يركز بدرجة كبيرة على الأسلحة النووية، والكيميائية، والبيلوجية والصواريخ ذات المدى الطويل والأسلحة المتطورة الأخرى، وكذلك القدرات في مجال الاستخبارات والوسائل الالكترونية الأخرى، وفي هذا الشكل الجديد من التنافس لسباق التسلح نجد أن جهة واحدة تطور أسلحتها والأخرى تحاول الحد والتخفيض وليس إحراز التوازن في إمكاناتها العسكرية.

ماذا يجب على الغرب أن يفعله؟

في نهاية هذه الدراسة التي أشرنا لأهم الطروحات التي تناولتها، ذكر الباحث بعض السياسات التي ينبغي على الغرب أن يتبناها لمواجهة مستقبل (صراع الحضارات)، وقد قسّم هذه السياسات إلى مزايا قصيرة المدى وإلى كيفية التكيف مع هذه المتغيرات على المدى الطويل، ومن المزايا التي يمكن للغرب استغلالها على المدى القصير ما يلي:

1- على الغرب أن يسعى إلى تعاون أوثق واتحاد بين الدول داخل الحضارة الغربية وخاصة بين دول أوربا ودول أمريكا الشمالية.

2- ضرورة السعي لدمج شرق أوربا وأمريكا الجنوبية اللاتينية في المجتمع الغربي، لأن هذه الدول تملك ثقافة قريبة من ثقافة الغرب.

3- السعي للدعوة والحفاظ على علاقات تعاونية أوثق مع روسيا واليابان.

4- منع تطور الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية إلى صراعات كبيرة.

5- الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكنفوشوسية.

6- التوسط في تخفيض القوة العسكرية الغربية والحفاظ على التفوق العسكري في شرق وجنوب غرب آسيا.

7- استغلال الاختلافات والصراعات بين الدول الإسلامية والكنفوشوسية.

8- دعم الجماعات في الحضارات الأخرى التي تتعاطف مع القيم والمصالح الغربية.

9- تقوية المؤسسات الدولية التي تعكس وتـمـنـح الـشـرعـية للمصالح والقيم الغربيةللدعوة لمشاركة دول غير غربية في هذه المؤسسات.
أمــــــا على المدى الطويل فإن الدول التي تنتمي إلى حضارات غير غربية سوف تستمر في المحاولــــــة للحصول على الثروة والتقنية والمهارات والأجهزة والأسلحة حتى تكون دولاً حديثة، وسوف تحاول أيضاً أن توفق بين التحديث والثقافات والقيم المحلية، ولهذا فإن قوتها العسـكـريــة والاقتصادية مقارنة بالغرب سوف تزداد، ولذلك على الغرب أن يُكيّف هذه الحضارات الـتي ســـــوف تصبح قوتها قريبة من قوة الغرب، ولكن قيمها ومصالحها تختلف بدرجة كبيرة عن الـغـرب، وهذا يتطلب من الغرب أن يحافظ على قوته العسكرية والاقتصادية الضرورية لحماية مـصــالـحـــه، ويتطلب أيضاً أن يطور الغرب فهمه العميق للافتراضات الدينية والفلسفية التي تقف عليها تلك الحضارات وينبغي معرفة الطرق التي يرى بها الناس في تلك الحضارات مصالحهم الذاتية.

عـود على بـدء:

يتضح من الأسطر السابقة أن الـكــاتب بـــدأ دراسـتـه بتشـخـيـص حالة العالم بعد سقوط الشيوعية، وتقهقر الصراعات الأيديلوجية، لـتـبـرز مــن جديد الفروق الجوهرية بين بني البشر، وهي الفروق التي طمرتها حقبة الحربين العالميتـيـن والحرب الباردة، إنها الفروق الحضارية التي يشكلها الدين والغة والتاريخ والثقافة والتـراث، وقـد كان هذا التشخيص لشكل العالم الجديد في ظل ظاهرة العودة إلى الجذور متطابـقــاً إلى حد بعيد مع الأحداث التي تجري على الساحة منذ بداية الثمانينات، وهي الفترة التي شهدت مرحلة الانهيار الكبير لـلـشـيـوعية وحتى اليوم، وبالنسبة لنا نحن المسلمين فإن هذا الوضوح والتمايز بين الحضــارات سوف يساعد ولا شك في تمييز المواقف وسقوط الأقنعة والشعارات التي كان يرددهــا كثير من المستغربين من أبناء الأمة، فكثيراً ما كان يُرَدَدُ مصطلح »عالمية الحضارة« و»الهموم الإنسانية المشتركة«، وكثيراً ما طالب أصحاب الأدب والـفـكـــر بالانـفـتـاح على الحضارات، وعــــــدم الانغلاق على الذات وبالبحث عن القواسم المشتركة بين حضارة الإسلام وحضارة الـغـــرب وغير ذلك من الطروحات وشعار »الحضارة العالمية« هو كما ذكر (هنجتون): مصطلح غربـي بـحـت، يطرح عالمياً ليكون ستاراً لنشر القيم والمبادئ الغربية على أنها مبادئ عالمية وليست خاصة بأمة معينة.

وعلى الرغم من أن كاتب هذه الدراسة قد أكد على كثير من الخصائص التي تميز بين الحضارات، واستطاع أن يوضح العلاقات والقوانين التي يمكن أن تتحكم في العلاقات الدولية في ظل صراع الحضارات، إلا أنه قد وجه دراسته في النهاية نحو ما يمكن أن يسمى بـالاتجاه السائد في الغرب للبحث عن خطر عسكري جديد بدلاً عن الشيوعية«، ولهذا نجد أن الباحث قد ركز عند

حديثه عن خطورة الاتصال بين الحضارة الإسلامية والكنفوشوسية كحلف متوقع ضد الغرب ركز على الجانب العسكري، بل وعلى جانب التسليح فقط من التعاون الحضاري، وقد أغفل الجوانب الرئيسة التي تكون الحضارات وتدعم التعاون بينها، مثل الدين واللغة والتاريخ المشترك، وكان الاستشهاد على وجود نوع من التحالف بين الإسلام وبين الحضارة الكنفوشوسية بتصدير الأسلحة إلى دول مثل ليبيا وإيران والجزائر والعراق وباكستان، متهافتا جداً حيث إن العديد من الدول العربية والإسلامية الأخرى تعتمد على التسلح من دول الغرب، ولم يعتبر أحداً أن هذا التعاون هو تحالف حضاري بين الإسلام والغرب، ويبدو أن المؤلف في هذا الجزء من الدراسة قد قام بعملية قسرية لأفكاره لتتماشى مع الحملة الكبيرة على المستوى السياسي في الغرب لتصوير الإسلام بالخطر البديل عن الشيوعية، وذلك لأن الجمهور الغربي، كما يقول شومسكي: »لن يخـتار الدرب الذي يخدم مصالح الشـركات الكبرى ولن يزيد المـغـامـــرات الخارجية لإخضاع العالم الثالث للمطالب ذاتها إلا إذا سيق إلى ذلك عن طريق الخوف..«.

ويـمـكـن الاسـتـشـهـــاد بـتـهـافـت فكرة خطر التعاون العسكري بين الصين وبعض البلاد الإســلامية، عـلـى الـغــرب بـمـا ذكــره الـكــاتـب مـن أن هناك جهة(الجهة الإسلامية/ الكنفوشوسية) تطور أسلحتها وقدراتها العسكرية، وجهــة أخرى (الجهة الغربية) تخفض وتحد من إمكاناتها العسكرية، ولا شك أن الفارق عظيم بين الجهتين في الوقت الحاضر من نـاحـيـــــة التفوق العسكري والتقني، كما أن الرقابة على تصدير الأسلحة النووية وغيرها والذي تقــــوم به الدول الغربية يمنع إحراز البلاد الإسلامية ولو على جزء يسير مما عند صنيعة الغرب في المنطقة »إسرائيل«.

ولهذا فإن التـوصـيــات التي ذكرها الكاتب في نهاية مقاله والموجهة إلى الغرب للعمل بها كاسـتراتيجية على الـمـدى القصير، وعلى المدى الطويل توضح بجلاء تركيز الكاتب على الجانب العسكري، كمخرج وحيد لحماية مصالح الغرب ونشر قيمه وثقافته، ويبدو أن هذا التركيز يأتي متوافقاً مع مـصـالـح أصـحــاب رؤوس الأموال فـي بــلاد الغرب من الطبقة السياسية والصناعية التي يهمها استمرار الاستثمار في التسلح والصناعات العسكرية وعدم إغلاق مصانع الأسلحة العملاقة في الدول الغربية، وبتعبير شومسكي أيضاً: »كان الانفراج في توترات الحرب الباردة، بالنسبة للصفوة الأمريكية، نعمة تشوبها نقمة، صحيح أن وهن الرادع السوفيتي سهل للولايات المتحدة لجوءها إلى العنف والقسر في العالم الثالث، وأن انهيار المنظومة السوفياتية عـبّـد الطريق أمام إدخال أوربا الشرقية والوسطى في مناطق يراد لها أن »تكمل اقتصاديات الغرب الصناعية«، ولكن ثمة مشاكل تنشأ بشأن السيطرة في الداخل على جمهور يتزايد خطره باستمرار، وبشأن الحفاظ على النفوذ في أوساط الحلفاء وهم الآن منافسون حقيقيون في حقل القوة الاقتصادية، كما

أنهم سباقون في عملية تكييف العالم الثالث الجديد لخدمة حاجاتهم.. ولهذا كان الافـتـراض هو أن يكون الاستثمار في مسائل الحاجات الاجتماعية بديلاً ممكناً لمنظومة »البنتاغون«، وهذا الخيار وإن كان ممكن الحدوث فنياً وفق القياسات المجردة للاقتصاديين، إلا أنـــه خيار يتعارض مع امتيازات المالكين والمديرين، ولهذا فهو مرفوض كخيار سياسي..«.
وكخاتمة لهذه القراءة ينبغي التأكيد على ما بدأنا بـه، وهو أن مفهوم الصراع الحـضـاري ليس جديداً في الساحة الفكرية، وأن الصراع موجود فعلا ولكن التركيز عليه في مثل هـذه الدراسات يمنح كثيرين من الذين قد تأثروا بالطروحات التي تنادي بالحضارة العالـمـيـة وبامتزاج الحضارات، الفرصة لإعادة النظر والتفكير في مواقعهم الحالية، فإن الحالة فـي وقت الصراع الحضاري هي أن تقف هنا أو تقف هناك وليس هناك موقف في الوسط...

منتـدى الـقـراء

قاصـمة الطلاسم

سعود حامد الصاعدي

هذه القصيدة التي سميتها (قاصمة الطـلاسم) راجياً أن تكون شهاباً يسحق طلاسم الشاعر (إيليا أبو ماضي) في قصيدته (الطلاسم) والـتي تحمل تساؤلات كثيرة عجز عن استيعابها، وإن كانت يسيرة يجيب عليها كل مؤمن ذي فـطــرة سليمة، لم يخالطها زيف ولا باطل، فهو يقول في قصيدته تلك:

جـئت لا أعـــلـم من أين ولكني أتيتُ
ولقـــــد أبصرت قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جـئت كيف أبصـرت طريقي؟!
لســـتُ أدري

وحيث أن تلك القصيدة مشهورة إلى حد أن وضعت في مناهج النصوص في كثير من الدول العربية مع ما فيها من انحراف وإلحاد. فقلت هذه الأبيات رداً عليها:

أنت حي قـد بــراك الله في هذا الوجود
أنت حـر غير أن الله أعـطـاك الحــدود
فتبصر في طريق دربـه فــيــه الـسـعـــود
لو ســمـعــت الحـق يـوماً فتتبعت كلامـه
سـوف تدري
إن بـعـد الـموت هـولاً وظــلاما لــلـقـــبـــور
للذي قد حـاد كبراً عـــن هـتـافـات النذير
والذي قد قال حـــقــاً لظلام القــبـــر نـــور

أتراكم في نعيم؟ أم تــراكــم فـي جـحيم؟!
سـوف تدري
فطريق الخير مـعروف بـنـــور شع مــنـه
وطـريــق الـشـر شـــوك مــن رآه فــر عنـه
فلماذا تهت درباً أنـك قـــد جـئــت منه
أترى الإنكار غنم؟ أم تــرى الإنكار جرم؟
سـوف تدري
إن بعث العظم حــق ســتــراه صـار حـقــا
وترى ما كان يخـفــى وتـــرى ما كان دقا
سوف تدري عندها أن كل شيء كان صدقا
فلماذا أنـت تدري؟ ثــم كــبـراً تـتـمـطــى
لسـتَ تدري
أوما بالعقل فكر أن هذا الليـل يـســـــري
ثم من بعدُ يعود وكذا فالـعـمــر يـجــــري
وهو حق ليس يذكر فلماذا لــســتَ تـدري
لسـتَ تدري، لـســـتَ تــدري ولـمـــاذا؟
لسـتُ أدري

الـورقـة الأخـيـرة

لـهـاث الـمـهـزومـيـن

تركي المالكي

حيثما قلّبت نظرك في ركام الإصـدارات الإعلامية المختلفة، تجد نَفَس المهزومين ولهاثهم يفترش مساحات لا تنتهي من الورق المصقول.. إنهم جميعاً يحاصرونك بكل ما يملكون من أدوات كتابية كي يقولوا لك في النهـايـة: استلقِ على ظهرك وجهز عنقك للذبح! أوفاقبل بكل ترحيب أن تكون صلصالاً من عـقـل وعاطفة يشكلهما من يسيطر عسكرياً على اللحظة الزمنية الحالية كيف شــاء، ويوجههما حـيـث شــاءت أهـدافـه وثقافته!.. وهما خياران وحيدان لدى هؤلاء: إما الاستسلام والقبول المطلق بالانضمام إلى قافـلة العبيد في إقطاعيات المستعمر الغربي! أو الموت قتلاً تحت أقدامه العسكرية، أو جوعاً وراء جــــدران حـصـاره الاقتصادي.

وأي طـــرح غـيـر هذا الطرح يُسّمرونه مباشرة في جدران التهويمات الميتافيزيقية، وأحلام الليل غير القابلـة للتحقق! أو يوسم بأنه جزء من الشعارات التي يرفعها المتطرفون لخداع الجماهير وتسلق سلم السلطة! هذا اللهاث المحـمــوم الذي يدعو الأمة إلى عرض ذاتها مجاناً في مزاد الحضارات حتى تكسب رضى الآخر الغــربي، عسى أن يدخلها في قائمة

المتحضرين من الأتباع لم يكن في يوم من الأيام أكثر جرأةً (وتمكينا!) مما هو عليه الآن، ولعل الحاجة ماسة إليه كي يمهد الأرض الثقافية والنفسية للتطبيع القادم!.
حتى رهبان القومية السابـقـيـن دخـلــــوا علناً (بورصة الدولار) بعد أن احترق الروبل!، وأصبحوا يدعون إلى (دمقرطة المجتمع) قبل (دمقرطة السياسة)، ويفيضون في الحديث عن نسبية الهوية، وقبولها للتغيرات الـمـخـتـلـفــة بحـسـب طبيعة المرحلة التاريخية المعينة ومزاجها العام! فليس هناك ثوابت مطلقة وكل شيء قابل للتغيير، ثم يجعلون من الارتماء في حضن العدو وإدارة الخد الآخر له حتى يستنفذ رغـبـتـه فـي الصـفـع! إفاقةً عقلانية، تتعامل مع الواقع بلا تزييف، أو علامة صحة زعموا تخلصت الأمة بـهــا مــن أوهـــــام الأدلجة!
إنها لغة المهزومين.. أما الأسياد فهم هناك يتحدثون عن نهاية التاريخ ووقوفه خاشعاً عند أقـدامـهـم الليبرالـيـــة! وحـيـن لا يصدق الواقع أحلامهم يعودون إلى رسم مشاهد لصراع الحضارات وإعـــلان النفير ضــد العدو الإسلامي القادم، ولو كان كل عتاده اليوم (شريط كاسيت)!!.

تمت بعون الله ولله الحمد
